الأستاذ الدكتور
إسماعيل السلفي

حُسْنُ الحَسَنَاتِ وَقُبْحُ السَّيِّئَاتِ

(30 درسًا على منهاج النبوة)



أ.د. إسماعيل السَّلْفي

نسخة متاحة للانتفاع الشخصي غير التجاري

بطاقة الكتاب

اسم الكـــتاب: حُسن الحسنات وقُبح السيئات [٣٠ درسًا على منهاج النبوة].

اسم الـــمؤلف: أ. د. إسماعيل السَّلْفي

عدد الصفحات: ١٧٤

مقاس الكتاب: ١٧ × ٢٤

الطبعـــــــة: الأولى

سنة النـــــشر: ١٤٤٨هـ - ٢٠٢٦م.

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وهداه النجدين: طريق الخير وطريق الشر، وعرَّفَهُ سبيلَ الهدى والضلال، وجعل في الحسنات نورًا للقلوب، وصلاحًا للأعمال، وبركةً في الحياة، وجعل في السيئات ظلمةً في الصدور، وفسادًا في السلوك، وشؤمًا في العواقب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بمحاسن الأخلاق، ونهى عن مساوئ الأعمال، ودعا عباده إلى تزكية النفوس، وتطهير القلوب، وإصلاح الظاهر والباطن.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بعثه الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا، ومتممًا لمكارم الأخلاق، فكان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس بيانًا للحسن، وأشدهم تحذيرًا عن القبيح، وأكملهم تربية للنفوس على منهاج الوحي، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية تزكية النفس الإنسانية، وإصلاح علاقتها بربها، وبنفسها، وبالناس من حولها، ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة طريق الحسنات التي يحبها الله ويرضاها، وطريق السيئات التي يبغضها وينهى عنها؛ فالإنسان لا يستقيم بمجرد معرفة الخير إجمالًا، ولا ينجو بمجرد كراهية الشر نظريًا، بل يحتاج إلى تربية تفصيلية تبصره بحُسن الحسنات حتى يحبها ويعمل بها، وتكشف له قُبح السيئات حتى ينفر منها ويتقيها.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب: حُسن الحسنات وقُبح السيئات، ليكون مشروعًا تربويًا دعويًا علميًا يجمع بين بيان الفضائل والرذائل، ويربط بين جمال الخلق الحسن وقبح ضده، فيدرس الصدق في مقابل الكذب، والأمانة في مقابل الخيانة، والعدل في مقابل

الظلم، والرحمة في مقابل القسوة، والتثبت في مقابل التسرع، وحسن الظن بالله في مقابل سوء الظن به، وسائر المعاني التي لا تستقيم حياة الفرد والأسرة والمجتمع إلا بها.

وتظهر أصالة موضوع الكتاب في كونه من صميم الوحيين الشريفين؛ فالقرآن الكريم مليء بالدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والتحذير من مساوئ النفوس ومهلكات السلوك، والسنة النبوية جاءت تطبيقًا حيًا لذلك في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله ومواقفه. فالموضوع ليس طارئًا على العلم الشرعي، ولا وافدًا على التربية الإسلامية، بل هو من لباب الدين، ومن جوهر رسالة الأنبياء، ومن أعظم ما تحتاج إليه الأمة في كل زمان، ولا سيما في زمن كثرت فيه الفتن، واضطربت فيه الموازين، واشتدت الحاجة إلى خطاب يجمع بين العلم والإيمان، والتربية والعمل، والتوثيق والتأثير.

وتتمثل أهمية هذا الكتاب في أنه لا يكتفي بعرض الأخلاق الحسنة عرضًا مجردًا، ولا يذكر السيئات ذكرًا منفصلًا عن ضدها، بل يقيم بناءً تربويًا مزدوجًا يقرّب المعنى إلى القلب والعقل معًا؛ إذ يبين للقارئ جمال الحسنة وآثارها، ثم يكشف له قبح السيئة ونتائجها، حتى تتكون لديه بصيرة متوازنة: بصيرة تحبب إليه الخير، وبصيرة تحذره من الشر، وهذا من أنفع أساليب التربية؛ لأن النفس قد تعرف الفضيلة ولا تدرك قبح ضدها، وقد تذم الرذيلة ولا تعرف جمال البديل الذي يعالجها، **فجاء هذا الكتاب ليجمع بين البناء والوقاية، وبين التحلية والتخلية، وبين الترغيب والترهيب، على منهاج النبوة.**

وقد سعى الكتاب إلى إضافة نافعة في حقل المعرفة العلمية وميادين التربية الإسلامية، من خلال صياغة نموذج يجمع بين التأصيل الشرعي، والتدبر العملي، والموقف النبوي، وكلام أهل العلم، والتطبيق الواقعي، ومحاسبة النفس. فهو **ليس كتابًا في الوعظ المجرد، ولا بحثًا أكاديميًا بعيدًا عن أثر التربية والتزكية، بل محاولة للجمع** بين دقة العلم وحرارة

الإيمان، وبين سلامة التوثيق وحياة الخطاب، وبين ترتيب الأفكار وملامسة حاجات القارئ التربوية والسلوكية.

وتبرز الجدة في هذا الكتاب من جهات عدة؛ منها: أنه يعالج كل خلق حسن مع ضده السيء في درس واحد، حتى يكتمل المعنى في ذهن القارئ، ومنها أنه يجعل النص القرآني أصل الانطلاق، والحديث الصحيح شاهدًا مؤيدًا، والموقف النبوي نموذجًا تطبيقيًا، وكلام أهل العلم ضابطًا ومؤصلًا، ثم يختم كل درس بثمرات وآثار وصور عملية يقيس بها القارئ نفسه. **وهذا الترتيب يجعل الدرس صالحًا للقراءة** الفردية، والتعليم الأسري، والدروس المسجدية، والبرامج التربوية، ومجالس الوعظ والإصلاح.

أما **علاقة عنوان الكتاب بمحتواه فهي علاقة** ظاهرة محكمة؛ فالعنوان حُسن الحسنات وقُبح السيئات ليس عنوانًا إنشائيًا مجردًا، بل هو وصف دقيق لمنهج الكتاب كله. فكل درس يكشف وجه الحسن في خلق كريم، ووجه القبح في خلق ذميم، حتى يدرك القارئ أن الحسنات ليست أوامر ثقيلة، بل جمال ورحمة ونور ونجاة، وأن السيئات ليست مجرد مخالفات عابرة، بل قبح وظلمة وفساد وأثر سيء في القلب والحياة. وبذلك يصبح العنوان مفتاحًا لفهم المحتوى، والمحتوى شاهدًا على صدق العنوان.

وتنبع مشكلة الكتاب من واقع مشاهد في حياة كثير من الناس؛ إذ يوجد ضعف في الربط بين العلم والسلوك، وبين معرفة الأحكام وتزكية الأخلاق، وبين سماع النصوص وتحويلها إلى عمل يومي. كما أن كثيرًا من الانحرافات السلوكية لا تنشأ من الجهل الكلي بالخير، بل من ضعف حضور المعنى في القلب، أو غياب الموازنة بين عاقبة الحسنة وعاقبة السيئة، أو التعامل مع الأخلاق على أنها فضائل اختيارية لا أصول إيمانية وتربوية. ومن هنا احتاجت التربية إلى خطاب يوقظ القلب، ويصحح الفهم، ويقرب النصوص من الواقع،

ويجعل القارئ يسأل نفسه بعد كل درس: أين أنا من هذا الخلق؟ وما الصورة التي ينبغي أن أحققها؟ وما السلوك الذي يجب أن أتخلص منه؟

ومن أجل معالجة هذه المشكلة **رسم الكتاب عدة أهداف، من أبرزها**: ترسيخ محبة الحسنات في النفوس، وبيان قبح السيئات وآثارها، وربط الأخلاق بالقرآن والسنة، وإحياء القدوة النبوية في السلوك اليومي، وتقديم مادة تربوية موثقة تصلح للتعليم والدعوة والإصلاح، وتدريب القارئ على محاسبة النفس من خلال صور عملية واضحة، وبناء وعي إيماني يجعل الأخلاق جزءًا من العبودية لله، لا مجرد سلوك اجتماعي منفصل عن الإيمان.

وقد التزم الكتاب في سبيل تحقيق هذه الأهداف بمنهجية علمية واضحة؛ فكل درس يبدأ بمقدمة إيمانية تمهد للموضوع، ثم ينتقل إلى بيان الخلق الحسن من خلال آية كريمة وحديث صحيح وموقف تطبيقي من السيرة النبوية، ثم يعضد ذلك بنقل موثق من كلام أهل العلم، ثم يذكر ثمرات هذا الخلق في حياة الفرد والمجتمع. وبعد ذلك ينتقل إلى بيان قبح الخلق السيء المقابل، من خلال آية وحديث ونقل علمي وآثار عملية، ثم يختم بفقرة قِس نفسك التي تنقل القارئ من مستوى المعرفة إلى مستوى المحاسبة والتطبيق، ثم دعاء جامع يربط العلم بالافتقار إلى الله.

وقد **روعي في الكتاب سلامة** أسلوب العرض وتنظيمه؛ فجاءت الدروس مرتبة في بناء واحد متكرر، ليسهل على القارئ الانتفاع بها، وعلى المعلم والداعية توظيفها، وعلى المربي تحويلها إلى برامج عملية. كما روعي في الصياغة أن تكون الأفكار واضحة، والعبارات سليمة، واللغة علمية دعوية مؤثرة، بعيدة عن التكلف، قريبة من القلب، جامعة بين البيان والإيجاز، وبين التأصيل والتحفيز.

كما **اعتنى الكتاب بسلامة التوثيق للمصادر والمراجع؛** فاعتمد على القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، ولا سيما ما في الصحيحين، ورجع في النقول العلمية إلى مصادر معتبرة من كتب التفسير، والحديث، والسلوك، والآداب، والتربية الإيمانية، وقد رجع الكاتب إلى نحو عشرين مرجعًا من المصادر المعتمدة، مع العناية بذكر المصدر، والمؤلف، والموضع، بذكر المجلد والصفحة عند التوثيق، تحقيقًا للأمانة العلمية، وتيسيرًا على القارئ والباحث في الرجوع إلى النصوص من مظانها.

والنتائج التي يرومها هذا الكتاب ليست نتائج نظرية فحسب، بل نتائج تربوية عملية؛ أن يحب القارئ الصدق ويكره الكذب، وأن يعظم الأمانة وينفر من الخيانة، وأن يتحلى بالعدل ويجتنب الظلم، وأن يتخلق بالرحمة ويبتعد عن القسوة، وأن يحسن الظن بالله ويتطهر من سوء الظن به، وأن يعرف أن كل حسنة لها نورها وثمرتها، وأن كل سيئة لها قبحها وأثرها. **فإذا خرج القارئ من كل درس بمعرفة صحيحة، وشعور حي، وسلوك عملي، ودعاء صادق، فقد تحقق للكتاب هدفه الذي رسم له.**

وإني أرجو أن يكون هذا الكتاب لبنة في بناء الوعي الأخلاقي والإيماني على منهاج النبوة، وأن يكون عونًا للآباء والمربين، والخطباء والدعاة، والمعلمين والطلاب، وكل من أراد أن يربي نفسه ومن حوله على محاسن الإسلام. فما أحوج القلوب إلى من يذكرها بجمال الطاعة، وقبح المعصية، وحلاوة الرجوع إلى الله، وخطورة الإصرار على السيئات.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، معينًا على تزكية النفوس، وإصلاح الأخلاق، وإحياء المعاني النبوية في حياة المسلمين، وأن يرزقنا حُسن الحسنات ظاهرًا وباطنًا، وأن يطهرنا من قُبح السيئات سرًا وعلنًا، وأن يجعل أعمالنا كلها صالحة، ولوجهه خالصة، ولا يجعل لأحد فيها شيئًا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإهداء

إلى كل أبٍ كريم، يحمل همَّ أبنائه في قلبه، ويغرس فيهم بذور الإيمان والخلق والعمل الصالح.

إلى كل أمٍّ رحيمة، تسقي أبناءها بدعائها، وتربيهم بصبرها، وتفتح لهم أبواب الخير بحنانها وصدق رعايتها.

إلى كل معلم ومعلمة، جعلوا التعليم رسالة، والتربية أمانة، وبناء الإنسان غاية شريفة يتقربون بها إلى الله.

إلى مشايخ حلقات القرآن ومعلميها ومعلماتها، وإلى معلمي دور القرآن ومراكزه، الذين يربون الأجيال على نور الوحي، ويصنعون في القلوب حب القرآن وتعظيمه والعمل به.

إلى القائمين على المراكز الشرعية، والمراكز الصيفية، والحلقات القرآنية، والحلقات الإلكترونية القرآنية والشرعية، وكل ميدان تربوي مبارك يُعنى بغرس الإيمان، وبناء الأخلاق، وحماية هذا الجيل من تيارات الغفلة والضعف والانحراف.

إلى كل مربٍّ صادق، يحمل همَّ الجيل، ويؤمن أن التربية ليست كلمات تلقى، ولا أوامر تكرر، بل قدوة رحيمة، ومتابعة حكيمة، ونفس طويل، وقلب يحب الخير لمن يربيهم.

إلى الذين ينظرون إلى الأبناء والطلاب والحفاظ والمتعلمين على أنهم أمانة بين أيديهم، وأن صلاحهم صلاح للأمة، وأن غرس خلق واحد في قلب ناشئ قد يفتح الله به باب خير لا ينقطع أثره.

إلى كل من أراد أن يربي هذا الجيل على حُسن الحسنات حتى يحبها، وعلى معرفة قُبح السيئات حتى يتَّقيها، وعلى منهاج النبوة يسير حتى يستقيم ظاهره وباطنه.

أهدي هذا الكتاب محبةً وتقديرًا ووفاءً، راجيًا أن يكون عونًا لكم في ميدان التربية، وزادًا في طريق الإصلاح، ولبنةً في بناء جيل يعرف ربه، ويحب دينه، ويتخلق بمحاسن الإسلام، وينفر من قبائح الأخلاق والأعمال.

وأسأل الله أن يبارك في جهودكم، ويجزيكم عن الأجيال خير الجزاء، وأن يجعل ما تغرسونه في القلوب نورًا باقيًا، وأثرًا صالحًا، وصدقة جارية تمتد بركتها في الدنيا والآخرة.

١. حسن الصدق وقبح الكذب

الحَمْدُ للهِ الصَّادِقِ في وَعْدِهِ، العَظِيمِ في مَجْدِهِ، الَّذِي جَعَلَ الصِّدْقَ مِفْتَاحَ البِرِّ والفَلَاحِ، وجَعَلَ الكَذِبَ طَرِيقَ الخِزْيِ والفَضَاحِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وأَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَنَا في عِبَادِهِ الصَّادِقِينَ.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَهْدِي مَنْ صَدَقَ إِلَى سُبُلِ السَّلَامِ، ويَكْشِفُ زَيْفَ الكَاذِبِينَ عِنْدَ الخِصَامِ، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وأَطْهَرُهُمْ سِيرَةً، وأَكْمَلُهُمْ خُلُقًا، صَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَيْهِ، وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، ورَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الصدقَ حياةُ القلوب، وزينةُ الألسنة، وبابُ الثقة بين العباد، وسببُ النجاة يوم المعاد. فازرع الصدق في قولك، ووعدك، وتجارتك، وكتابتك، ومزاحك؛ واحذر الكذب، فإنه يبدأ كلمةً عابرة، ثم يصير عادةً جارحة، ثم يهدم ثقةً لا تعود بسهولة.

أولًا: حُسن الصدق:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

هذه الآية الكريمة لا تكتفي بأن تأمر المؤمن بالصدق مجردًا، بل تدعوه إلى بيئة الصدق، وصحبة الصادقين، والانضمام إلى ركب أهل الصفاء والوفاء. فكأنها تقول للمؤمن: إن أردت سلامة الطريق، فكن مع قوم إذا تكلموا صدقوا، وإذا وعدوا وفوا، وإذا خاصموا لم يفجروا، وإذا أخطأوا اعترفوا.

والتدبر العملي في الآية أن الصدق ليس موقفًا عابرًا، بل صحبة ومنهج وحياة؛ فمن أراد أن يثبت على الصدق فليفتش عن جلسائه، ومصادر أخباره، وطرائق اعتذاره، وأسلوب بيعه وشرائه، ومواقفه عند الخوف والطمع.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا) أخرجه البخاري برقم(٦٠٩٤)، ومسلم برقم(٢٦٠٧).

وكان الصدق ظاهرًا في حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل البعثة وبعدها؛ فقد عرفه قومه بالصادق الأمين، ولم يجد أعداؤه في سيرته منفذًا يتهمونه منه بالكذب. ولما سأل هرقل أبا سفيان عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ أجاب أبو سفيان: لا. فكانت شهادة من خصم يومئذ، تدل على رسوخ الصدق في سيرته صلى الله عليه وسلم.

ومن كلام أهل العلم في الصدق قول الجنيد: «حقيقة الصّدق: أن تصدق في موطن لا ينجّيك منه إلّا الكذب» مدارج السالكين، لابن القيم(٢/ ٢٩٠).

وهذه كلمة قصيرة، لكنها تفتح للعبد باب بصيرة؛ فرب صدق آلمك في لحظته، ثم أنجاك في عاقبته، ورب كذب ستر عليك ساعة، ثم فضحك عمرًا.

بعض ثمرات حُسن التَّخلق بالصدق

١. الصدق يورث طمأنينة القلب وسلامة الصدر.

٢. الصدق يحفظ الثقة بين الناس ويقوي المروءة.

٣. الصدق يقود إلى البر، والبر طريق إلى الجنة.

إذا استقر الصدق في القلب، ضاق منفذ الكذب على اللسان، واستحيا العبد أن يجعل قولَه شاهدًا على فساد سريرته.

ثانيًا: قُبح الكذب

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

هذه الآية تكشف خطورة الكذب؛ فهو ليس زلة لسان فحسب، بل علامة قبيحة على ضعف مراقبة الله في القلب. فالمؤمن إذا عظمت آيات الله في نفسه استحيا أن يزور خبرًا، أو يختلق عذرًا، أو يلبس الحق بالباطل، أو يجعل لسانه جسرًا إلى الخداع.

والتدبر العملي في الآية أن الكذب يبدأ من الداخل قبل أن يظهر على اللسان؛ يبدأ حين يضعف تعظيم الله، وحين يهون على الإنسان أن يخسر صدقه ليحفظ صورته، أو يكسب مالًا، أو ينجو من عتاب، أو يُضحك مجلسًا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: (**وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**) أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

ومن تحذيره صلى الله عليه وسلم من الكذب أنه جعله من علامات النفاق العملي، فقال: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ.**» أخرجه البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

ومن لطيف ما قيل في قُبح الكذب قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «ومَن أكثر الكذب لم يترك لنفسه شيئًا يُصَدَّقُ به. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٥٢).

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله أيضًا: «لو لم يكن للكذب من الشين إلا إنزاله صاحبه بحيث إن صدق لم يُصَدَّق لكان الواجب على الخلق كافة لزوم التثبت بالصدق الدائم.» روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٥٣).

وهذا من أعظم عقوبات الكذاب؛ أنه إذا احتاج إلى تصديق الناس وجد أبواب الثقة قد أغلقت في وجهه.

بعض الآثار لقُبح الكذب

١. الكذب يسقط صاحبه من أعين الناس.

٢. الكذب يفتح أبواب الفجور والخيانة والاحتيال.

٣. الكذب يمحق البركة ويجعل صاحبه محل ريبة.

قِس نفسك:

صور مطلوبة في الواقع:

١. اصدق في وعدك ولو فاتتك مصلحة.

٢. تثبت من الخبر قبل نشره.

٣. اعترف بخطئك بلا عذر كاذب.

صور مرفوضة في الواقع:

١. كذب المزاح لإضحاك المجلس.

٢. اختلاق الأعذار عند التقصير.

٣. تزييف الحقائق في البيع والشراء.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنْ أَلْسِنَتَنَا بِالصِّدْقِ، وَطَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ، وَأَعْمَالَنَا مِنَ الرِّيَاءِ، وَأَقْوَالَنَا مِنَ الكَذِبِ وَالزُّورِ وَالبُهْتَانِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الصَّادِقِينَ مَعَكَ فِي النِّيَّاتِ، وَمَعَ خَلْقِكَ فِي المُعَامَلَاتِ، وَأَعِذْنَا مِنَ الكَذِبِ فِي الجِدِّ وَالمِزَاحِ، وَالسِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ، وَالخَوْفِ وَالطَّمَعِ.

اللَّهُمَّ اكْتُبْنَا عِنْدَكَ مِنَ الصِّدِّيقِينَ، وَلَا تَكْتُبْنَا عِنْدَكَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَاجْعَلِ الصِّدْقَ لَنَا نُورًا فِي الدُّنْيَا، وَنَجَاةً يَوْمَ نَلْقَاكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢. حسن العدل وقبح الظلم

الحَمْدُ للهِ العَدْلِ الحَكَمِ، الَّذِي حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلَهُ بَيْنَ عِبَادِهِ مُحَرَّمًا، وَأَمَرَ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وَنَهَى عَنِ البَغْيِ وَالعُدْوَانِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ مَنْ رَجَا عَدْلَهُ وَخَافَ حِسَابَهُ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ المُقْسِطِينَ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ وَيَرْضَى عَنْهُمْ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَقَامَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالقِسْطِ، وَوَضَعَ المَوَازِينَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالعَدْلِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ العَادِلِينَ، وَقُدْوَةُ المُنْصِفِينَ، وَرَحْمَةُ اللهِ لِلعَالَمِينَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ العدلَ نورٌ في القلب، واستقامةٌ في القول، وإنصافٌ في الحكم، وأداءٌ للحقوق، ورحمةٌ تمنع اليدَ أن تبطش، واللسانَ أن يفتري، والقلبَ أن يميل مع الهوى. فكن عادلًا مع من تحب ومن تبغض، مع القريب والبعيد، مع القوي والضعيف؛ واحذر الظلم، فإنه لذةٌ عابرةٌ يعقبها ظلامٌ طويل، ودعوةُ مظلومٍ لا تُحجب عن الله.

أولًا: حُسن العدل

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

هذه الآية الكريمة جمعت أصول الخير، وجعلت العدل في صدر المأمورات؛ لأن به تستقيم الحياة، وتحفظ الحقوق، وتصان الدماء والأموال والأعراض. فالعدل ليس خُلُق القاضي وحده، بل خُلُق الأب في بيته، والمعلم مع طلابه، والمدير مع موظفيه، والتاجر مع زبائنه، والداعية مع مخالفيه، والإنسان مع نفسه.

والتدبر العملي في الآية أن الله لم يأمر بالعدل عند الرضا فقط، بل أمر به مطلقًا؛ فمن عدل حين يوافقه العدل، ثم جار حين يخالف هواه، لم يحقق حقيقة العدل. والعبد الصادق هو الذي يجعل أمر الله فوق حظ نفسه، وحق الناس فوق ميل قلبه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا». أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أنه أقام ميزان العدل دون محاباة، فلما شفع أسامة بن زيد رضي الله عنه في المرأة المخزومية التي سرقت، غضب النبي صلى الله عليه وسلم للحق، وقال: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟» ثم خطب الناس وقال: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨).

فهذه صورة عظيمة من صور العدل النبوي؛ إذ لا مكان للمحاباة إذا حضر حكم الله، ولا يضيع حق الضعيف؛ لأن القوي وجيه، ولا يسقط الواجب لأن المخطئ قريب أو محبوب.

ويكشف هذا المعنى في العدل قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] : «وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو». تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص: ١٨٣).

وهذا بيان جامع يربي المؤمن على أن العدل لا يتجزأ؛ فمن عدل مع من يحب، وظلم من يبغض، فقد اتبع الهوى، ولم يقم بالقسط الذي أمر الله به.

من ثمرات حُسن التخلق بالعدل

١. العدل سبب لمحبة الله ورفعة المنزلة.

٢. العدل يحفظ الحقوق ويطمئن الضعفاء.

٣. العدل يقيم الثقة ويمنع الفتن والخصومات.

فإذا استقام العدل في النفس، ضاق طريق الظلم، وصار الحكم على الناس منضبطًا بالتقوى لا منساقًا وراء الهوى.

ثانيًا: قُبح الظلم

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

هذه الآية توقظ القلب من غفلته؛ فالظالم قد يظن أن تأخر العقوبة إهمال، وأن سكوت المظلوم ضعف، وأن امتداد الفرصة سلامة، ولكن الله تعالى يبين أن الإمهال ليس إهمالًا، وأن للظلم يومًا تنكشف فيه الحقائق، وتقوم فيه الخصومات بين يدي أحكم الحاكمين.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن لا يغتر بقوة عارضة، ولا بمنصب زائل، ولا بقدرة مؤقتة؛ فكل يد ظلمت ستقف، وكل لسان افترى سيحاسب، وكل حق أُخذ بغير حق سيُطلب. فليخف العبد من ظلم خفي لا يراه الناس، فإن الله لا تخفى عليه خافية.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «**الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**». **متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٧)، ومسلم برقم (٢٥٧٩).**

وقال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ». أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٨).

ومن شدة قُبح الظلم أن الله تعالى حرمه على نفسه، وحرمه بين عباده، فقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا». أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

ومن لطيف ما قيل في تفسير أثر الظلم قول المهلب رحمه الله في حديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة»: «هذه الظلمات لا نعرف كيف هي، إن كانت من عمى القلب أو هي ظلمات على البصر». شرح صحيح البخاري، ابن بطال (٦/ ٥٧٦).

وفي هذا تذكير مخيف؛ فالظلم الذي كان في الدنيا قوةً وبغيًا واستعلاءً، ينقلب على صاحبه يوم القيامة ظلماتٍ وحيرةً وخوفًا، فيحتاج إلى نور فلا يجده، ويطلب النجاة وقد أثقلته حقوق العباد.

بعض الآثار لقُبح الظلم

١. الظلم سبب للظلمات يوم القيامة.

٢. الظلم يمحق البركة ويهدم العمران.

٣. الظلم يفتح أبواب العداوة والفتن.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. أنصف خصمك ولو آذاك.

٢. اعدل بين أولادك في العطايا.

٣. احكم للحق لا للعلاقة.

صور مرفوضة في الواقع

١. تفضيل القريب على صاحب الحق.

٢. أكل أجرة العامل الضعيف.

٣. ظلم المخالف بالكذب عليه.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الظُّلْمِ وَالبَغْيِ وَالعُدْوَانِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ المُقْسِطِينَ الَّذِينَ تُحِبُّهُمْ وَتَرْفَعُهُمْ عِنْدَكَ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى العَدْلِ في أَقْوَالِنَا وَأَحْكَامِنَا، وَبُيُوتِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَمَعَ مَنْ نُحِبُّ وَمَنْ نُخَالِفُ، وَاحْفَظْنَا مِنْ مَيْلِ الهَوَى، وَجَوْرِ الخُصُومَةِ، وَظُلْمِ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ.

اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنَا ظَالِمِينَ وَلا أَعْوَانًا لِلظَّالِمِينَ، وَرُدَّنَا إِلَى الحَقِّ رَدًّا جَمِيلًا، وَارْزُقْنَا شَجَاعَةَ الإِنْصَافِ، وَسَلَامَةَ الصُّدُورِ، وَأَدَاءَ الحُقُوقِ إِلَى أَهْلِهَا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٣. حسن الإحسان وقبح الإساءة

الحَمْدُ للهِ المُحْسِنِ إِلَى عِبَادِهِ، المُتَفَضِّلِ عَلَى خَلْقِهِ بِآلَائِهِ وَإِمْدَادِهِ، الَّذِي كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أَهْلَهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَحَذَّرَ مِنَ الإِسَاءَةِ وَأَهْلِهَا، وَجَعَلَ عَاقِبَتَهَا وَبَالًا عَلَى أَصْحَابِهَا، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ المُحْسِنِينَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُحِبُّ المُحْسِنِينَ، وَيَجْزِي بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَلا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَكْمَلُ النَّاسِ إِحْسَانًا، وَأَرْفَعُهُمْ خُلُقًا، وَأَرْحَمُهُمْ بِالخَلْقِ قَوْلًا وَفِعْلًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الإحسانَ جمالُ الدِّينِ، وروحُ العمل، وزينةُ المعاملة، وبلسمُ القلوب إذا قَسَت، وجسرُ المودة إذا تباعدت النفوس. فأحسن في عبادتك، وأحسن إلى والديك، وأهلك، وجيرانك، وطلابك، ومن أحسن إليك، ومن أساء إليك؛ واحذر الإساءة، فإنها سهمٌ يخرج من يدك، ثم يعود إلى قلبك ندمًا، وإلى سمعتك نقصًا، وإلى صحيفتك ظلمةً.

أولًا: حُسن الإحسان:

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

هذه الآية الكريمة تجمع للعبد بابًا عظيمًا من أبواب القرب من الله؛ فالإحسان ليس خُلُقًا اجتماعيًا فحسب، بل طريق إلى محبة الله تعالى. ومن أحب أن يحبه الله فليفتش عن إحسانه: في صلاته، وعبادته، وكلمته، وعمله، ورعايته لمن تحت يده، ومعاملته لمن حوله.

والتدبر العملي في الآية أن الإحسان لا يقف عند إعطاء المال، بل يدخل في كل شأن من شؤون الحياة؛ أن تؤدي العمل بإتقان، وأن تلين الكلمة، وأن تكف الأذى، وأن تعفو عند القدرة، وأن تعطي بلا منٍّ، وأن تجعل مراقبةَ اللهِ حاضرةً في السر والعلن.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ». أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الطائف آذوه وردوا دعوته، حتى لقي منهم شدةً عظيمةً، فلما جاءه مَلَكُ الجبال يعرض عليه أن يطبق عليهم الأخشبين، لم يختر الانتقام، بل قال صلى الله عليه وسلم: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ، لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

فهذه صورة نبوية عالية من الإحسان؛ إذ لم يكن إحسانه صلى الله عليه وسلم لمن أحسن إليه فقط، بل امتد إلى من أساء إليه، رجاء هدايتهم، ورحمةً بذرياتهم، وتقديمًا لمراد الله على حظ النفس.

ومن لطيف ما قيل في الإحسان قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤]: «ولا يستوي الإحسان إلى الخلق، ولا الإساءة إليهم، لا في ذاتها، ولا في وصفها، ولا في جزائها». تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

وقال رحمه الله أيضًا في الآية نفسها: «ثم أمر بإحسان خاص، له موقع كبير، وهو الإحسان إلى من أساء إليك». تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص: ٧٤٩).

وهذا يبيّن أن الإحسان مراتب؛ فأعلاه أن تحسن لا لأن الناس يستحقون دائمًا، بل لأن الله يحب المحسنين، ولأن قلب المؤمن أكرم من أن يجعله أسيرًا لردود الأفعال.

من ثمرات حُسن التخلق بالإحسان

١. الإحسان سبب لمحبة الله ورضاه.

٢. الإحسان يطفئ العداوات ويؤلف القلوب.

٣. الإحسان يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة.

وكلما تَجَذَّر خلق الإحسان في القلب، خفت نوازع الإساءة، وارتقى العبد من مقابلة الناس بالعدل إلى معاملتهم بالفضل.

ثانيًا: قُبح الإساءة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

هذه الآية الكريمة تقرر أن الحسنة والسيئة لا يستويان؛ فلا يستوي لطف الكلمة وقسوتها، ولا يستوي العفو والانتقام، ولا يستوي البناء والهدم، ولا يستوي من يداوي القلوب ومن يجرحها. ثم تفتح الآية باب العلاج: ادفع الإساءة بالإحسان، لا ضعفًا ولا ذلًّا، بل ارتقاءً بالنفس وطاعةً للرب.

والتدبر العملي في الآية أن الإساءة لا تُعالَج دائمًا بمثلها؛ فإن مقابلة الإساءة بالإساءة قد تزيد النار اشتعالًا، أما الإحسان الحكيم فيكسر حدة العداوة، ويغلب نوازع النفس، ويجعل المؤمن أرفع من أن ينزل إلى أخلاق المسيئين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا من إيذاء الناس والإساءة إليهم: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». أخرجه البخاري برقم(١٠)، ومسلم برقم(٤٠).

وهذا الحديث ميزان عظيم؛ فالإسلام العملي يظهر في سلامة الناس من أذى اللسان واليد، فمن أكثر الإساءة بلسانه أو يده، فقد نقص من حقيقة كمال إسلامه بقدر ما آذى وأساء.

ويكشف هذا المعنى في قُبح مقابلة الإساءة بالإساءة قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «ولو لم يكن في الصفح وترك الإساءة خصلة تحمد إلا راحة النفس ووداع القلب لكان الواجب على العاقل ألَّا يكدر وقته بالدخول في أخلاق البهائم بالمجازاة على الإساءة إساءة». **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٦٩) .**

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله أيضًا: «ومن جازى بالإساءة إساءة فهو المسيء وإن لم يكن بادئًا». **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٦٩) .**

وفي هذا تربية رفيعة للنفس؛ فليست الشجاعة أن ترد كل كلمة بكلمة، وكل جرح بجرح، ولكن الشجاعة أن تملك نفسك عند الغضب، وأن تختار ما يرضي الله لا ما يريح الغيظ لحظةً ثم يورث الندم.

بعض الآثار لقُبح الإساءة

١. الإساءة تورث العداوة وتقطع المودة.

٢. الإساءة تجرح القلوب وتذهب الثقة.

٣. الإساءة تظلم الصحيفة وتثقل الحساب.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. أحسن لمن أساء إليك بحكمة.

٢. أتقن عملك ولو غاب الرقيب.

٣. الطف بوالديك قولًا وفعلًا.

صور مرفوضة في الواقع

١. رد الإساءة بإساءة أشد.

٢. جرح الناس بالكلام القاسي.

٣. إهمال العمل مع القدرة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالإِحْسَانِ في العِبَادَةِ وَالمُعَامَلَةِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الإِسَاءَةِ في القَوْلِ وَالفِعْلِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ المُحْسِنِينَ الَّذِينَ تُحِبُّهُمْ وَتَرْضَى عَنْهُمْ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى الإِحْسَانِ إِلَى وَالِدِينَا، وَأَهْلِينَا، وَجِيرَانِنَا، وَمَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْنَا، وَارْزُقْنَا الإِحْسَانَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا بِحِكْمَةٍ وَحِلْمٍ وَعِزَّةِ إِيمَانٍ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الأَذَى، وَأَيْدِيَنَا مِنَ الظُّلْمِ، وَقُلُوبَنَا مِنَ الحِقْدِ، وَأَعْمَالَنَا مِنَ التَّقْصِيرِ، وَاجْعَلْ إِحْسَانَنَا خَالِصًا لِوَجْهِكَ، مُوَافِقًا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٤. حسن الأمانة وقبح الخيانة

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَمَرَ بِأَدَاءِ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، وَنَهَى عَنِ الخِيَانَةِ وَحَذَّرَ مِنْ سُبُلِهَا، وَجَعَلَ الأَمَانَةَ زِينَةَ المُؤْمِنِينَ، وَالخِيَانَةَ شِينَ المُنَافِقِينَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدًا يُزَكِّي القُلُوبَ وَيُصْلِحُ الأَعْمَالَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ وَحُسْنِ الحَالِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَ بِالعَدْلِ وَالأَمَانَةِ وَالإِحْسَانِ، وَحَرَّمَ الظُّلْمَ وَالغَدْرَ وَالخِيَانَةَ وَالبُهْتَانَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَعْظَمُهُمْ أَمَانَةً، وَأَطْهَرُهُمْ سِيرَةً، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الأمانةَ ليست كلمةً تُقال، بل دينٌ يُحمل، وحقٌّ يُؤدَّى، وعهدٌ يُرعى، وسرٌّ يُصان، ومسؤوليةٌ تُراقَب فيها عينُ الله قبل أعين الناس. فاحفظ ما استودعك الله من دينك، وما استودعك الناس من حقوقهم، واحذر الخيانة؛ فإنها تبدأ بتساهل صغير، ثم تصير ثقبًا في جدار الثقة، ثم تهدم لصاحبها دينًا ومروءةً وسمعةً.

أولًا: حُسن الأمانة

قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

هذه الآية الكريمة تجعل أداء الأمانة أمرًا ربانيًّا مباشرًا، لا خُلُقًا اختياريًّا يُفعل عند الرضا ويُترك عند الغضب. والأمانات في الآية واسعة؛ تدخل فيها أمانة الدين، والمال، والمنصب، والعلم، والكلمة، والسر، والوقت، والمسؤولية، والحقوق الخاصة والعامة.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن لا يسأل أولًا: هل صاحب الحق يستحق محبتي؟ بل يسأل: هل هذا حق يجب علي أداؤه؟ فالأمانة لا تتغير بتغير المزاج، ولا تسقط بالخصومة، ولا يجوز أن تُخان؛ لأن صاحبها خان، بل تُؤدَّى طاعةً لله قبل أن تكون مكافأةً للناس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخَازِنُ الأَمِينُ، الَّذِي يُؤدي ما أُمِرَ بِه طَيِّبَةً نَفْسُهُ، أَحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٤٣٨)، ومسلم برقم (١٠٢٣).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشًا، مع عداوتها له، كانت تضع ودائعها عنده ثقةً بأمانته، فلما أذن الله له بالهجرة لم يجعل خصومةَ قومِه سببًا في حبس أموالهم، بل أمر عليًّا رضي الله عنه أن يتخلف بمكة حتى يؤدي الودائع إلى أهلها.

قال ابن إسحاق: «وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ، حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَدَائِعَ، الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ». سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (١/ ٤٨٥).

فالأمانة عنده صلى الله عليه وسلم لم تكن شعارًا في زمن الرضا، بل خُلُقًا ثابتًا حتى مع الأعداء.

ويكشف هذا المعنى في عِظَم الأمانة قول السعدي رحمه الله: «وإذا أردت أن تعرف إيمان العبد ودينه، فانظر حاله **هل يرعى الأمانات كلَها مالية، أو قولية، أو أمانات الحقوق؟ وهل يرعى الحقوق والعهود والعقود التي بينه وبين الله، والتي بينه وبين العباد؟**».

التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن السعدي، (ص: ٨١).

وهذا ميزان دقيق؛ فمن أراد أن يقيس إيمانه فليفتش عن أمانته: في ماله، ولسانه، ووعده، وعمله، وطلابه، وأهله، ومنصبه، ورسائله، وأسرار الناس عنده.

من ثمرات حُسن التخلق بالأمانة

١. الأمانة تحفظ الدين وتزكي الإيمان.

٢. الأمانة تبني الثقة وتحفظ الحقوق.

٣. الأمانة ترفع قدر صاحبها بين الناس.

وإذا عُظِّمت الأمانة في قلب العبد، قُبحت الخيانة في عينه، واستحيا أن يضيّع حقًّا ائتمنه الله عليه.

ثانيًا: قُبح الخيانة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

هذه الآية تهز القلب المؤمن؛ لأنها تجمع بين خيانة الله والرسول وخيانة الأمانات، وتبين أن الخيانة ليست مجرد مخالفة اجتماعية، بل جرح في مقام العبودية. ومن علم أن الله يراه، وأن الأمانة وديعة بين يديه، استحيا أن يخون في مال، أو سر، أو منصب، أو كلمة، أو عهد.

والتدبر العملي في الآية أن أخطر الخيانة ما يقع مع العلم؛ حين يعرف الإنسان الحق ثم يفرط فيه، ويعرف الواجب ثم يتلاعب به، ويعرف أن الأمر أمانة ثم يتعامل معه كغنيمة شخصية. فليحذر المؤمن خيانة السر، وخيانة المال، وخيانة العلم، وخيانة المسؤولية، وخيانة النصيحة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم(٣٣)، ومسلم برقم(٥٩).

ومن تحذيره صلى الله عليه وسلم من ضياع الأمانة قوله: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قيل: كيف إضاعتها؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». أخرجه البخاري برقم(٦٤٩٦).

ومما أورده الراغب الأصفهاني رحمه الله في قُبح الخيانة: «خيانة الناس أقبح الإفلاس». محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، (١/ ٣٥١).

وهي كلمة بليغة؛ لأن الإفلاس من المال قد يُجبر، أما الإفلاس من الثقة فيطول علاجه، وربما بقيت آثاره في القلوب، فلا يُؤمَن الخائن بعد خيانته، ولا يُسلَّم إليه سر، ولا يُطمأن إليه في حق.

بعض الآثار لقُبح الخيانة

١. الخيانة تضعف الإيمان وتفتح باب النفاق.

٢. الخيانة تهدم الثقة وتفسد العلاقات.

٣. الخيانة تمحق البركة وتورث الذل.

قِس نفسك:

صور مطلوبة في الواقع

١. احفظ سر من ائتمنك عليه.

٢. أد عملك بإتقان دون رقابة.

٣. رد الحقوق إلى أهلها كاملة.

صور مرفوضة في الواقع

١. إفشاء الأسرار بعد الخصومة.

٢. استغلال المنصب لمصلحة شخصية.

٣. تأخير الحقوق مع القدرة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنْا بِالأَمَانَةِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الخِيَانَةِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الأُمَنَاءِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَالسِّرِّ وَالعَلَنِ، وَالقَوْلِ وَالعَمَلِ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَدَاءِ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، وَاحْفَظْنَا مِنْ خِيَانَةِ العُهُودِ، وَتَضْيِيعِ الحُقُوقِ، وَإِفْشَاءِ الأَسْرَارِ، وَاسْتِعْمَالِ المَنَاصِبِ فِي غَيْرِ مَا يُرْضِيكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَمَانَتَنَا دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ إِيمَانِنَا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ إِذَا اؤْتُمِنَ أَدَّى، وَإِذَا عَاهَدَ وَفَّى، وَإِذَا قَدَرَ عَفَّ، وَإِذَا وُلِّيَ عَدَلَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٥. حسن الحياء وقبح الوقاحة

الحَمْدُ للهِ الحَيِيّ السِّتِّيرِ، الكَرِيمِ البَرِّ القَدِيرِ، الَّذِي حَبَّبَ إِلَى عِبَادِهِ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ وَالعَفَافَ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الوَقَاحَةَ وَالجَرْأَةَ عَلَى القَبَائِحِ وَالاِنْحِرَافَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ مَنْ رَجَا فَضْلَهُ وَخَافَ مَقَامَهُ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُزَيِّنَنَا بِحَيَاءٍ يَحْجُزُنَا عَنِ السُّوءِ، وَيَقُودُنَا إِلَى الخَيْرِ وَالنُّورِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، وَيَكْرَهُ الفُحْشَ وَالجَهْرَ بِالسُّوءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَكْمَلُ النَّاسِ حَيَاءً، وَأَطْهَرُهُمْ قَلْبًا، وَأَعَفُّهُمْ لِسَانًا، وَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الحياءَ تاجُ الأخلاق، وحارسُ القلب، وسياجُ العفة، ومفتاحُ الوقار، فإذا سكن الحياءُ في القلب هذَّب اللسان، وغضَّ البصر، وحفظ الجوارح، ومنع صاحبه من اقتحام ما يَشِين. واحذر الوقاحة؛ فإنها جرأةٌ قبيحةٌ على حدود الله وحقوق الناس، تبدأ باستهانة صغيرة، ثم تورث قسوةً في القلب، وخفةً في اللسان، وسقوطًا من أعين العقلاء.

أولًا: حُسن الحياء

قال تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥].

هذه الآية الكريمة ترسم صورةً رفيعةً للحياء الجميل؛ حياءٍ لا يمنع من قضاء الحاجة، ولا يعطل أداء الرسالة، ولكنه يكسو الحركة والكلمة بالوقار. فقد جاءت المرأة تمشي على استحياء، وتكلمت بقدر الحاجة، وأدَّت ما أُرسلت به دون تكلف ولا ابتذال.

والتدبر العملي في الآية أن الحياء ليس ضعفًا ولا عجزًا، بل أدبٌ يضبط السلوك، ووقارٌ يحفظ الكرامة، وفطنةٌ تجعل الإنسان يعرف متى يتكلم، وكيف يتكلم، وبأي قدر يتكلم. فمن أراد جمال الخلق فليجعل الحياء حاضرًا في كلامه، ومشيه، ولباسه، ونظره، ومخالطته للناس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الحَيَاءُ لا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**». أخرجه البخاري برقم(٦١١٧)، ومسلم برقم(٣٧).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما وصفه به أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا**». أخرجه البخاري برقم(٦١٠٢)، ومسلم برقم(٢٣٢٠).

فهذا وصفٌ جامعٌ لحيائه صلى الله عليه وسلم؛ حياءٌ مقرونٌ بالقوة والبلاغ والدعوة والجهاد والتعليم، لا حياءُ ضعفٍ ولا انكسار، بل حياءُ كمالٍ يجمّل النفس، ويحفظ الأدب، ويمنع الفحش والجفاء.

ومن كلام أهل العلم في حُسن الحياء قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «الواجب على العاقل لزوم الحياء؛ لأنه أصل العقل وبذر الخير، وتركه أصل الجهل وبذر الشر». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٥٦).

وقال رحمه الله أيضًا: «الحياء اسم يشتمل على مجانبة المكروه من الخصال». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٥٧).

وهذا يبين أن الحياء ليس مجرد انقباض في الوجه، بل خُلُقٌ جامعٌ يحمل صاحبه على ترك ما لا يليق، ويمنعه من اقتحام ما يَسوء، ويجعله أرقى في لفظه، وأطهر في نظره، وأحفظ لحدود الله وحقوق عباده.

من ثمرات حُسن التخلق بالحياء

١. الحياء يورث الخير ويحفظ الإيمان.

٢. الحياء يصون اللسان والجوارح.

٣. الحياء يرفع المروءة ويجلب الوقار.

ومتى أشرق القلب بالحياء من الله، انطفأت جرأة الوقاحة، وتهذب القول والفعل تحت نظر الرب سبحانه.

ثانيًا: قُبح الوقاحة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

هذه الآية الكريمة تحذر من قبح الجرأة على نشر الفاحشة وإشاعتها بين المؤمنين؛ فإن من الوقاحة أن يأنس القلب بالقبيح، أو يزينه للناس، أو يفرح بانتشاره، أو يجعل المجاهرة به حديث المجالس والمنصات. فالوقاحة ليست مجرد كلمة خشنة، بل سقوط حاجز الحياء حتى يجرؤ الإنسان على ما يستحي منه أهل المروءة.

والتدبر العملي في الآية أن المجتمع إذا ضعُف فيه الحياء سهلت فيه إشاعة الفاحشة، وإذا سهلت إشاعة الفاحشة ماتت الغيرة، وقلَّ التعظيم، وتجرأ الناس على القبيح. فليحفظ المؤمن سمعه، وبصره، ولسانه، وقلمه، ومنصاته من نشر ما يجرح الحياء، أو يطبع القلوب على المنكر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٣)، وجاء في بعض الطبعات برقم (٦١٢٠).

وهذا الحديث ليس إباحةً للوقاحة، بل وعيدٌ وتهديدٌ لمن نُزع منه الحياء؛ فكأنه قيل له: إذا لم يبق في قلبك حياءٌ يردعك، فستندفع إلى ما تشاء من القبيح، والله محاسبك على ما صنعت.

ومن لطيف ما قيل في قُبح الوقاحة قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «الحياء من الإيمان والمؤمن في الجنة، والبذاء من الجفاء والجافي في النار، إلا أن يتفضل الله عليه برحمته فيخلصه منه». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٥٧).

وقال رحمه الله في بيان خطر ترك الحياء: «وتركه أصل الجهل وبذر الشر». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٥٦).

وفي هذا بيان أن الوقاحة ليست قوةً في الشخصية، ولا صراحةً محمودة، بل هي قلة حياء تفتح باب الفحش، وتجرّ صاحبها إلى الجفاء، وتجعله يقتحم ما يترفع عنه أهل العقول والمروءات.

بعض الآثار لقُبح الوقاحة

١. الوقاحة تضعف الإيمان وتذهب الوقار.

٢. الوقاحة تجرئ على الفواحش والمنكرات.

٣. الوقاحة تسقط صاحبها من أعين العقلاء.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. استح من الله في خلوتك.

٢. اضبط لسانك عند المزاح.

٣. غض بصرك عما لا يحل.

صور مرفوضة في الواقع

١. المجاهرة بالمعصية بلا حياء.

٢. نشر المقاطع الخادشة للحياء.

٣. التبجح بالألفاظ الفاحشة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالحَيَاءِ وَالعَفَافِ وَالوَقَارِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الوَقَاحَةِ وَالفُحْشِ وَالبَذَاءِ، وَاجْعَلْ حَيَاءَنَا مِنْكَ أَعْظَمَ مِنْ حَيَائِنَا مِنْ خَلْقِكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلِ الحَيَاءَ حَارِسًا لِقُلُوبِنَا، وَنُورًا فِي وُجُوهِنَا، وَأَدَبًا فِي أَلْسِنَتِنَا، وَعِفَّةً فِي أَبْصَارِنَا، وَطُهْرًا فِي خَلَوَاتِنَا وَجَلَوَاتِنَا.

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الجُرْأَةِ عَلَى المَعَاصِي، وَمِنَ المُجَاهَرَةِ بِالقَبَائِحِ، وَمِنْ قِلَّةِ الحَيَاءِ فِي القَوْلِ وَالفِعْلِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ إِذَا هَمَّ بِالسُّوءِ رَدَّهُ حَيَاؤُهُ مِنْكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٦. حسن التواضع وقبح الكبر

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ، المُتَفَضِّلِ عَلَى عِبَادِهِ بِاللُّطْفِ وَالتَّدْبِيرِ، الَّذِي رَفَعَ أَهْلَ التَّوَاضُعِ وَالإِنَابَةِ، وَوَضَعَ أَهْلَ الكِبْرِ وَالإِعْجَابِ وَالغَفْلَةِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ مَنْ عَرَفَ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَخَضَعَ لِرَبِّهِ، وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ عُجْبٍ يُفْسِدُ العَمَلَ، وَكِبْرٍ يُظْلِمُ القَلْبَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الكِبْرِيَاءُ وَالعَظَمَةُ، وَمِنْهُ الفَضْلُ وَالنِّعْمَةُ، وَإِلَيْهِ المَرْجِعُ وَالمَآلُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ المُتَوَاضِعِينَ، وَإِمَامُ المُخْبِتِينَ، وَأَرْحَمُ النَّاسِ بِالخَلْقِ أَجْمَعِينَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ التواضعَ جمالُ الروح، ونورُ القلب، وعلامةُ معرفة العبد بربه وبنفسه؛ فمن عرف عظمة الله لم يتعاظم على خلقه، ومن عرف نعمة الله لم يحتقر أحدًا من عباده. فاخفض جناحك للناس بلا ذلة، واقبل الحق بلا مكابرة، وانظر إلى النعم شكرًا لا فخرًا؛ واحذر الكبر، فإنه سمٌّ خفيٌّ يبدأ بإعجاب النفس، ثم يورث رد الحق، واحتقار الخلق، وسقوط العبد من عين الله ثم من أعين العقلاء.

أولًا: حُسن التواضع

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

هذه الآية الكريمة تفتح بابًا عظيمًا في صفات عباد الرحمن؛ فهم لا يمشون في الأرض مرحًا ولا خيلاء، ولا يرفعون أنفسهم على الناس، بل يمشون بسكينة ووقار، وتواضع وحلم. وإذا جهل عليهم الجاهلون لم يردوا سفهًا بسفه، بل اختاروا السلامة والرفق، وحفظوا قلوبهم وألسنتهم من الانحدار إلى أخلاق المتكبرين.

والتدبر العملي في الآية أن التواضع لا يكون في هيئة المشي وحدها، بل يظهر في طريقة الكلام، وقبول النصيحة، واحترام الضعيف، ولين الجانب، وترك التعالي على الناس بعلم أو مال أو منصب أو نسب. فمن أراد أن يكون من عباد الرحمن فليجعل تواضعه عبادةً لله، لا مظهرًا لمدح الناس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ». أخرجه مسلم برقم(٢٥٨٨).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ المَدِينَةِ، لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ». أخرجه البخاري برقم(٦٠٧٢).

فهذه صورة مشرقة من تواضعه صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم يمنعه مقام النبوة، ولا عظم الرسالة، ولا كثرة الشواغل، أن يقضي حاجة الضعيف، وأن يسمع لمن لا يلتفت إليه أهل الكبر، وأن يكون قريبًا من الناس رحيمًا بهم.

ويكشف هذا المعنى في حُسن التواضع ما رواه ابن أبي الدنيا عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه سئل عن التواضع، فقال: «التَّوَاضُعُ أَنْ تَخْضَعَ، لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِيٍّ قَبِلْتَهُ مِنْهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ قَبِلْتَهُ مِنْهُ». التواضع والخمول، ابن أبي الدنيا، (ص: ١١٨).

وقال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]: «بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم». تفسير السعدي (ص: ٥٩٨).

وهذا يبين أن التواضع ليس إهانة للنفس، بل خضوع للحق، ولين مع الخلق، وقوة على الهوى، ورفعة عند الله؛ فمن تواضع لله رفعه، ومن رفع نفسه بغير حق وضعه الله.

من ثمرات حُسن التخلق بالتواضع

١. التواضع سبب للرفعة عند الله.

٢. التواضع يفتح القلوب لقبول النصيحة.

٣. التواضع يورث المحبة ويطفئ الخصومات.

وحين يخضع القلب لجلال الله متواضعًا، ينكسر فيه عِرق الكبر، ويرى العبد نفسه فقيرًا لا يرفعه إلا فضل ربه.

ثانيًا: قُبح الكبر

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

هذه الآية الكريمة تكشف صورة من صور الكبر في الوجه والمشي والقلب؛ فالمتكبر يعرض بوجهه عن الناس احتقارًا، ويمشي في الأرض مرحًا واختيالًا، وينسى أن النعمة من الله، وأن القوة إلى زوال، وأن من تكبر على الخلق فقد جهل قدر نفسه، وغفل عن عظمة ربه.

والتدبر العملي في الآية أن الكبر قد يظهر في حركة يسيرة، أو نظرة محتقرة، أو كلمة متعالية، أو رفض للنصيحة، أو ازدراء لمن هو أقل مالًا أو منصبًا أو علمًا. فليفتش المؤمن قلبه قبل مظهره، فإن الكبر مرض يبدأ في الداخل، ثم تفضحه الجوارح.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة. قال: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ». أخرجه مسلم برقم (٩١).

وهذا الحديث يضع حدًّا فاصلًا بين الجمال المباح والكبر المذموم؛ فحسن الثوب والنعل ليس كبرًا إذا خلا من الخيلاء، وإنما الكبر رد الحق إذا جاء مخالفًا للهوى، واحتقار الناس إذا كانوا دونك في مال أو جاه أو علم أو صورة.

ومن شدة خطر الكبر ما رواه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجَبَّارِينَ، فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ العَذَابِ». أخرجه الترمذي برقم (٢٠٠٠)، وقال: حديث حسن غريب.

ومن كلام أهل العلم في قُبح الكبر قول ابن رجب رحمه الله في شرح معنى الحديث: «يعني: التكبر عن قبول الحق والانقياد له، واحتقارُ الناس وازدراؤهم فهذا هو الكبر، فأما مجرد اللباس الحسن الخالي عن الخيلاء فليس بكبر، واحتقارُ الناس مع رثاثة اللباس كبر». اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، ابن رجب الحنبلي (ص: ١١٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان خطورة الكبر المنافي للإيمان: «فَالْكِبْرُ الْمُبَايِنُ لِلْإِيمَانِ لَا يَدْخُلُ صَاحِبُهُ الْجَنَّةَ». مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٧/ ٦٧٧).

وفي هذا تحذير عظيم؛ فالكبر ليس مجرد سوء خلق، بل قد يفسد قبول الحق، ويقطع طريق التوبة، ويجعل صاحبه يعيش أسير نفسه، يرى عيوب الناس، ولا يرى عيب قلبه.

بعض الآثار لقُبح الكبر

١. الكبر يمنع قبول الحق والانقياد له.

٢. الكبر يورث احتقار الناس وفساد القلب.

٣. الكبر سبب للخذلان وسقوط المنزلة.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. اقبل الحق ممن جاءك به.

٢. سلم على الضعيف قبل الوجيه.

٣. اشكر النعمة بلا فخر.

صور مرفوضة في الواقع

١. رد النصيحة احتقارًا للناصح.

٢. التفاخر بالمال أو المنصب.

٣. ازدراء الفقراء وضعفاء الناس.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالتَّوَاضُعِ وَالخُضُوعِ لِلحَقِّ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الكِبْرِ وَالعُجْبِ وَالخُيَلَاءِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ المُخْبِتِينَ المُنِيبِينَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا تَوَاضُعًا يَرْفَعُنَا عِنْدَكَ، وَيُقَرِّبُنَا مِنْ خَلْقِكَ، وَيَجْعَلُنَا نَقْبَلُ الحَقَّ مِمَّنْ جَاءَ بِهِ، وَنَرْحَمُ الضَّعِيفَ، وَنُكْرِمُ الفَقِيرَ، وَنَحْفَظُ حُقُوقَ النَّاسِ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ يَتَكَبَّرُ، وَلِسَانٍ يَتَفَاخَرُ، وَنَظْرَةٍ تَحْتَقِرُ، وَنَفْسٍ تُعْجَبُ بِمَا آتَيْتَهَا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ عَرَفُوا قَدْرَ أَنْفُسِهِمْ، فَعَظَّمُوكَ، وَخَضَعُوا لَكَ، وَأَحْسَنُوا إِلَى عِبَادِكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٧. حسن الحِلم وقبح الغضب المذموم

الحَمْدُ للهِ الحَلِيمِ الكَرِيمِ، الَّذِي وَسِعَ عِبَادَهُ بِحِلْمِهِ وَفَضْلِهِ، وَسَتَرَ عُيُوبَهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَسِتْرِهِ، وَحَبَّبَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ الحِلْمَ وَالأَنَاةَ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الطَّيْشَ وَالعَجَلَةَ وَالغَضَبَ المُذْمُومَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ مَنْ رَجَا حِلْمَهُ، وَخَافَ أَخْذَهُ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا سَاكِنًا، وَلِسَانًا عَفِيفًا، وَخُلُقًا رَفِيقًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، الحَلِيمُ الَّذِي لا يُعَاجِلُ بِالعُقُوبَةِ، وَالعَفُوُّ الَّذِي يَفْتَحُ أَبْوَابَ التَّوْبَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ الإِسَاءَةِ، وَأَصْبَرُهُمْ عِنْدَ الجَفَاءِ، وَأَرْفَقُهُمْ بِالخَلْقِ فِي الدَّعْوَةِ وَالبَلَاغِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الحِلمَ قوَّةٌ ساكنة، وعقلٌ حاضر، وقلبٌ يملك نفسه عند هيجان الغضب، ولسانٌ يعرف متى يسكت ومتى ينطق. فليس الحليم ضعيفًا، ولكنه قويٌّ على نفسه، عزيزٌ بحكمته، كريمٌ بعفوه، رفيقٌ في مواقفه. واحذر الغضب المذموم؛ فإنه نارٌ تبدأ في الصدر، ثم تخرج كلمةً جارحة، أو يدًا ظالمة، أو قرارًا نادمًا، وقد يفسد في لحظة ما بناه صاحبه في سنين.

أولًا: حُسن الحِلم

قال تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤].

هذه الآية الكريمة تجعل كظم الغيظ والعفو عن الناس من صفات المتقين الذين أعد الله لهم الجنة؛ **فالحليم** قد يجد في قلبه غيظًا كما يجده غيره، **لكنه** لا يترك الغضبَ يقوده إلى الانتقام بالقول أو الفعل، بل يكظم غيظه، ويصبر، ويعفو إذا كان العفو أصلح وأقرب إلى رضا الله.

والتدبر العملي في الآية أن الحِلم لا يُعرف عند السكون فقط، بل يُعرف عند الاستفزاز؛ حين تُؤذى فلا تبادر، وتُستثار فلا تنفلت، وتُظلم فلا تتجاوز الحق. **فمن أراد أن يربي نفسه على الحِلم فليبدأ** بكظم اللسان عند الغضب، وتأخير الرد حتى تهدأ النفس، وتذكر ثواب الله قبل لذة الانتصار للنفس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس رضي الله عنه: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمَ وَالأَنَاةَ». أخرجه مسلم برقم (١٧) .

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ». أخرجه البخاري برقم (٣١٤٩)، ومسلم برقم (١٠٥٧) .

فهذه صورة عظيمة من حِلمه صلى الله عليه وسلم؛ إذ قابل جفاء الأعرابي بابتسامة، وقابل الشدة بالعطاء، ولم يجعل أذى الجاهل سببًا للانتقام، بل عالجه بالحِلم والرحمة وحسن السياسة.

ومن لطيف ما قيل في حُسن الحِلم قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[آل عمران: ١٣٤].: «هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم». تفسير السعدي (ص: ١٤٨) .

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «**والخلق مجبولون على الغضب والحلم معًا، فمن غضب وحلم في نفس الغضب فإن ذلك ليس بمذموم ما لم يخرجه غضبُه إلى المكروه من القول والفعل**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان (ص: ١٤١) .

وهذا يقرر معنى مهمًا: **ليس المطلوب أن يخلو القلب من أصل الغضب مطلقًا، وإنما المطلوب أن يملك العبد غضبه، فلا يخرجه إلى ظلم، ولا فحش، ولا قطيعة، ولا قرار يندم عليه.**

من ثمرات حُسن التخلق بالحِلم

١. الحِلم يطفئ نار الخصومات.

٢. الحِلم يحفظ اللسان من الندم.

٣. الحِلم يرفع صاحبه عند الله والناس.

وحيث يسكن الحلم في النفس، تخمد نار الغضب المذموم، ويعود العقل قائدًا عند ذروة الانفعال.

ثانيًا: قُبح الغضبِ المذموم

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

هذه الآية الكريمة تنبه إلى أن الشيطان يتسلل إلى الإنسان عند دواعي الخصومة والاستثارة، فيحمله على الكلمة الجارحة، والرَّد العنيف، والتَّصرف الطائش. والغضب المذموم من أعظم الأبواب التي يدخل منها الشيطان على القلب؛ **فإذا اشتعل الغضب احتاج العبد إلى** الاستعاذة بالله، والسكوت، والتثبت، والبعد عن مواطن الانفجار.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن لا يستسلم لأول خاطرة غضب، ولا يجعل انفعاله دليلَ صوابٍ، بل يفر إلى الله عند نزغ الشيطان، ويستعيذ، ويذكر أن الله يسمع كلامه، ويعلم ما في قلبه، ويرى ما ستفعله يده ولسانه.

وقال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني، قال: «**لَا تَغْضَبْ**». **فردد مرارًا، قال:** «**لَا تَغْضَبْ**». أخرجه البخاري برقم(٦١١٦).

وليس المراد بالنهي عن الغضب ترك الغضب لله إذا انتهكت محارمه، وإنما المراد الغضب المذموم الذي يملك صاحبه، فيخرجه عن العدل والحكمة، ويدفعه إلى الظلم أو الفحش أو التهور.

ومن التحذير من الغضب المَذموم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**». **أخرجه البخاري برقم(٦١١٤)، ومسلم برقم(٢٦٠٩).**

ومن كلام أهل العلم في قُبح الغضب المذموم قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «**سرعة الغضب من شيم الحمقى كما أن مجانبته من رِيّ العقلاء، والغضب بذر الندم**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٣٩).

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله أيضًا: «**الواجب على العاقل إذا غضب واحتد أن يذكر كثرة حلم الله عنه مع تواتر انتهاكه محارمه وتعديه حرماته، ثم يحلم ولا يخرجه غيظه إلى الدخول في أسباب المعاصي**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٢١٢).

وفي هذا علاج عظيم للغضب؛ أن يتذكر العبد حِلم الله عليه، وستر الله له، وكثرة تقصيره، فإذا استحضر ذلك هان عليه أن يحلم عن غيره، وأن يترك الانتقام لنفسه، وأن يمنع غضبه من أن يدخله في أسباب المعصية.

بعض الآثار لقُبح الغضب المذموم

١. الغضب المذموم يورث الندم.

٢. الغضب المذموم يفسد العلاقات.

٣. الغضب المذموم يفتح أبواب المعاصي.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. اسكت عند شدة الغضب.

٢. أخّر ردك حتى تهدأ.

٣. استعذ بالله عند الاستثارة.

صور مرفوضة في الواقع

١. الصراخ عند كل خلاف.

٢. السب عند الغضب.

٣. اتخاذ القرار وقت الانفعال.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالحِلْمِ وَالأَنَاةِ وَالرِّفْقِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الغَضَبِ المُذْمُومِ، وَالعَجَلَةِ، وَالطَّيْشِ، وَسُوءِ القَوْلِ وَالفِعْلِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ الغَضَبِ، وَيَكْظِمُونَ الغَيْظَ، وَيَعْفُونَ عَنِ النَّاسِ، وَيُحْسِنُونَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ.

اللَّهُمَّ إِذَا غَضِبْنَا فَذَكِّرْنَا بِحِلْمِكَ عَلَيْنَا، وَإِذَا اسْتُثِرْنَا فَاحْفَظْ أَلْسِنَتَنَا وَجَوَارِحَنَا، وَإِذَا قَدَرْنَا فَارْزُقْنَا العَفْوَ، وَإِذَا خَاصَمْنَا فَاجْعَلْنَا مِنَ المُنْصِفِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٨. حسن العفو وقبح الانتقام المذموم

الحَمْدُ للهِ العَفُوِّ الغَفُورِ، الكَرِيمِ الشَّكُورِ، الَّذِي يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، وَيَفْتَحُ لِعِبَادِهِ أَبْوَابَ الفَضْلِ وَالتَّطْهِيرِ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِمُ العَفْوَ وَالصَّفْحَ وَالإِصْلَاحَ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الانْتِقَامَ المَذْمُومَ وَالتَّشَفِّيَ وَالإِصْرَارَ عَلَى الجِرَاحِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ مَنْ رَجَا عَفْوَهُ، وَخَافَ عَدْلَهُ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا سَلِيمًا، وَصَدْرًا رَحِيمًا، وَخُلُقًا كَرِيمًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَعْفُو مَعَ القُدْرَةِ، وَيَصْفَحُ مَعَ العِلْمِ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَعْفَى النَّاسِ عِنْدَ القُدْرَةِ، وَأَصْفَاهُمْ صَدْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ صَفْحًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ العفوَ رفعةُ الكرام، وراحةُ الصدور، وبابٌ من أبواب محبة الله؛ لا يعني ضياع الحق، ولا الرضا بالظلم، ولكنه خلقٌ عظيمٌ يختاره المؤمن حين يكون العفو أصلح، والصفح أطهر، والإصلاح أقرب إلى رضا الله. واحذر الانتقام المذموم؛ فإنه يلبس ثوب الانتصار، ثم يترك في القلب قسوة، وفي اللسان فحشًا، وفي العلاقات خرابًا، وربما تجاوز صاحبه من طلب الحق إلى ظلم جديد.

أولًا: حُسن العفو

قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

هذه الآية الكريمة ترفع مقام العفو حين يقترن بالإصلاح؛ فليس كل عفو محمودًا بإطلاق إذا ترتب عليه تمكين الظالم أو ضياع الحقوق، ولكن العفو المحمود هو الذي يقصد به وجه الله، ويثمر إصلاحًا، ويطفئ شرًّا، ويهذب نفسًا، ويغلق باب عداوة لا خير في استمرارها.

والتدبر العملي في الآية أن الله جعل أجر العافي عليه سبحانه، وهذا وعدٌ عظيم يحرِّك القلوب إلى ترك التشفي للنفس، والتعامل مع الناس بما نحب أن يعاملنا الله به؛ فمن أحب أن يعفو الله عنه فليتعلم كيف يعفو عن عباده إذا كان العفو موضع فضل وإصلاح.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**». أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: «**وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا**». أخرجه البخاري برقم (٦١٢٦)، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

فهذا ميزان نبوي عظيم؛ إذ لم يكن صلى الله عليه وسلم ينتقم لحظ نفسه، ولا يجعل الإساءة الشخصية سببًا للغضب والتشفي، وإنما كان غضبه لله إذا انتهكت حرماته، فجمع بين العفو عند حق النفس، والقيام لله عند حق الشرع.

ويكشف هذا المعنى في حُسن العفو قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾: «فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص»، ثم قال: «ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء». تفسير السعدي (ص: ٧٦٠).

وقال رحمه الله أيضًا: «**وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به**». تفسير السعدي (ص: ٧٦٠).

وهذا يبين أن العفو ليس ضعفًا، بل مرتبة فضل، وأن العبد حين يعفو لله يتاجر مع الكريم سبحانه، فيترك حظ نفسه طلبًا لما عند الله.

من ثمرات حُسن التخلق بالعفو

١. العفو سبب للعزة ورفعة المنزلة.

٢. العفو يطهر القلب من الأحقاد.

٣. العفو يفتح أبواب الإصلاح والمودة.

ومتى سَمَت النفس بالعفو، ضَعُف سلطان الانتقام، وآثر المؤمن فضل الله على لذة الانتصار للنفس.

ثانيًا: قُبح الانتقام المذموم

قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]

هذه الآية الكريمة تدل على أن الصبر والمغفرة من عزائم الأخلاق، وأن النفس لا تبلغ هذا المقام إلا بمجاهدة صادقة. فالانتقام المذموم قد يبدو لصاحبه قوةً، لكنه كثيرًا ما يكون ضعفًا أمام الغضب، واستسلامًا للتشفي، وتجاوزًا لحد العدل الذي شرعه الله.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن لا يجعل كل إساءة تستحق ردًّا، ولا كل جرح يستحق فتح معركة، ولا كل كلمة تحتاج إلى كلمة تقابلها؛ **بل ينظر: أين رضا الله؟ وأين الإصلاح؟ وأين حفظ القلب من الحقد؟** فإن كان العفو أصلح عفا، وإن احتاج الحق إلى مطالبة طالب به بلا ظلم ولا فحش ولا تشفٍّ.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا من تجاوز المظلوم في رد الإساءة:

«الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ». أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٧).

وهذا الحديث يبين أن المظلوم إذا تعدى في الرد خرج من دائرة الانتصاف المشروع إلى الاعتداء المذموم؛ **فالحق لا يبيح** الفجور في الخصومة، ولا يجعل اللسان مطلقًا في السب، ولا يسمح للنفس أن تنتقم بأكثر مما وقع عليها.

ومن كلام أهل العلم في قُبح الانتقام المذموم قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «**والعاقل لا يخاطر بنفسه في الانتقام من عدوه؛ لأنه إن هلك في قصده قيل أضاع نفسه، وإن ظفر قيل القضاء فعله**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، (ص: ٩٦) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان شرف ترك الانتقام للنفس: «**فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط**». قاعدة في الصبر، ابن تيمية، (ص: ٩٨) .

وفي هذا تربية عظيمة؛ فالنفس التي تجعل الانتقام غايتها تبقى أسيرة من آذاها، أما النفس التي تضبط حقها بالشرع، وتترك التشفي لله، وتختار العفو حين يكون أصلح، فهي نفس عالية لا يقودها الغضب ولا يستعبدها الجرح.

بعض الآثار لقُبح الانتقام المذموم

١. الانتقام المذموم يملأ القلب بالحقد.

٢. الانتقام المذموم يوسع دائرة الخصومة.

٣. الانتقام المذموم يوقع صاحبه في الظلم.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. اعف عند القدرة إذا صلح العفو.

٢. اطلب حقك بلا ظلم.

٣. اترك التشفي عند الخصومة.

صور مرفوضة في الواقع

١. رد الإساءة بأشد منها.

٢. التشهير طلبًا للانتقام.

٣. الفجور في الخصومة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالعَفْوِ وَالصَّفْحِ وَالإِصْلَاحِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الانْتِقَامِ المَذْمُومِ، وَالتَّشَفِّي، وَالحِقْدِ، وَالفُجُورِ في الخُصُومَةِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْفُونَ عِنْدَ القُدْرَةِ، وَيَغْفِرُونَ عِنْدَ الإِسَاءَةِ، وَيَطْلُبُونَ حُقُوقَهُمْ بِالعَدْلِ لا بِالظُّلْمِ، وَبِالحِكْمَةِ لا بِالهَوَى.

اللَّهُمَّ إِذَا أُوذِينَا فَارْزُقْنَا صَبْرًا جَمِيلًا، وَإِذَا قَدَرْنَا فَارْزُقْنَا عَفْوًا كَرِيمًا، وَإِذَا خَاصَمْنَا فَاحْفَظْنَا مِنَ التَّجَاوُزِ وَالبَغْيِ، وَاجْعَلْ عَفْوَنَا خَالِصًا لِوَجْهِكَ، مُوصِلًا إِلَى مَرْضَاتِكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٩. حسن الوفاء وقبح الغدر

الحَمْدُ للهِ الوَفِيِّ بِوَعْدِهِ، الصَّادِقِ في خَبَرِهِ، الَّذِي أَمَرَ بِالوَفَاءِ بِالعُهُودِ وَالعُقُودِ، وَنَهَى عَنِ الغَدْرِ وَالنَّكْثِ وَنَقْضِ المَوَاثِيقِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ مَنْ رَجَا وَعْدَهُ، وَخَافَ وَعِيدَهُ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا صَادِقًا، وَلِسَانًا وَفِيًّا، وَعَمَلًا زَكِيًّا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَصْدَقُ مَنْ وَعَدَ، وَأَعْدَلُ مَنْ حَكَمَ، وَأَحْكَمُ مَنْ قَضَى، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَوْفَى النَّاسِ عَهْدًا، وَأَصْدَقُهُمْ وَعْدًا، وَأَحْفَظُهُمْ ذِمَّةً، وَأَكْمَلُهُمْ خُلُقًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الوفاءَ زينةُ النفوس الكريمة، وعنوانُ الصدق في العلاقات، وسياجُ الثقة بين الناس، فلا يستقيم بيت، ولا تجارة، ولا دعوة، ولا صحبة، ولا أمة، إذا ضاعت العهود ونُقضت المواثيق. فاحفظ وعدك، وأدِّ شرطك، وصُن عهدك، ولا تجعل المصلحة العاجلة تكسرك عند أول امتحان. واحذر الغدر؛ فإنه سوادٌ في الصحيفة، وفضيحةٌ يوم القيامة، وسقوطٌ من أعين أهل المروءة.

أولًا: حُسن الوفاء

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

هذه الآية الكريمة تفتح بابًا واسعًا من أبواب الأخلاق والمعاملات؛ فالعقود تشمل ما يلتزمه العبد بينه وبين ربه، وما يلتزمه مع الناس من عهود وشروط ومواثيق وحقوق. والوفاء ليس خُلُقًا تجميليًّا، بل عبادةٌ يتقرب بها المؤمن إلى الله، ودليلٌ على صدق الإيمان واستقامة الضمير.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن لا يفي بالعهد حين يكون الوفاء سهلًا فقط، بل يفي به حين تضغط عليه المصلحة، وحين يغريه الربح، وحين يتغير المزاج، وحين يختلف مع من عاهده. فالوفاء يظهر عند الامتحان، لا عند الكلام الجميل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما لما أخذه المشركون هو وأبوه، وأخذوا عليهما عهد الله وميثاقه ألا يقاتلا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فلما أخبرا النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ**». أخرجه مسلم برقم (١٧٨٧) .

وهذا موقف تطبيقي عظيم من حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان المسلمون في بدر بحاجة إلى الرجال، ومع ذلك لم يجعل الحاجة سببًا لنقض العهد، بل قدّم الوفاء بالميثاق، وعلّم الأمة أن النصر لا يُطلب بالغدر، وأن البركة مع الصدق والوفاء.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إِلَّا شَرْطًا حَرَّمَ حَلَالًا، أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا**». أخرجه الترمذي برقم (١٣٥٢)، وقال: حديث حسن صحيح .

ومما أورده الراغب الأصفهاني رحمه الله في الحث على الوفاء ومدحه: «**إذا ذهب الوفاء نزل البلاء وإذا ظهرت الخيانات استمحقت البركات**». محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، (١/ ٣٥١) .

ومما أورده رحمه الله أيضًا في الحث على الوفاء ومدحه: «**الوفاء من شيم الكرام والغدر من همم اللئام**». محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، (١/ ٣٥١) .

وهذا يبين أن الوفاء ليس مجرد التزام قانوني، بل مروءةٌ وكرامةٌ ودين؛ فمن ثبت على عهده ثبتت مكانته، ومن أكثر من الوعد ثم أخلّ به سقطت هيبته ولو كثرت أعذاره.

من ثمرات حُسن التخلق بالوفاء

١. الوفاء يحفظ الثقة بين الناس.

٢. الوفاء يجلب البركة في العلاقات.

٣. الوفاء يرفع قدر صاحبه ومروءته.

وكلما استقام قلب العبد بخلق الوفاء، قَبُحَ الغدر عنده، وبقي العهد محفوظًا وإن تغيّرت الأحوال وتبدّلت المصالح.

ثانيًا: قُبح الغدر

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

هذه الآية الكريمة تذكّر بأن العهد ليس كلمةً تُقال ثم تُنسى، بل مسؤوليةٌ يسأل الله عنها صاحبها. والغدر قبيحٌ لأنه جمع بين الكذب والخيانة والظلم؛ يطمئن إليك صاحبك، ثم تفاجئه بالنقض، ويثق بوعدك، ثم تصدمه بالخيانة، ويأمن جانبك، ثم يجد منك ما لم يحتسب.

والتدبر العملي في الآية أن الإنسان قد ينسى وعده، ولكن الله لا ينسى، وقد يتساهل الناس في العهود الصغيرة، لكنها عند الله مكتوبة. فمن وعد فليصدق، ومن عاهد فليثبت، ومن لم يقدر على الوفاء فلا يدخل في عهدٍ يعلم من نفسه العجز عنه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ».

أخرجه البخاري برقم (٣١٨٧)، ومسلم برقم (١٧٣٧).

وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». أخرجه البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

فهذان الحديثان يكشفان قبح الغدر من جهتين: أنه علامة من علامات النفاق العملي، وأنه فضيحةٌ ظاهرة يوم القيامة، حيث يُرفع للغادر لواء يعرف به بين الخلائق، جزاءً لما أخفاه في الدنيا من نقضٍ وخيانة.

ومما أورده الراغب الأصفهاني رحمه الله في الحث على الوفاء ومدحه: «الوفاء من شيم الكرام والغدر من همم اللئام». محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، (١/ ٣٥١).

وهذه كلمة جامعة؛ لأن الوفاء لا يصدر إلا عن نفس كريمة تعرف قدر العهد، والغدر لا يصدر إلا عن نفس ضعيفة تهون عليها المواثيق إذا خالفت هواها أو مصلحتها.

بعض الآثار لقُبح الغدر

١. الغدر علامة من علامات النفاق العملي.

٢. الغدر يهدم الثقة ويمحق البركة.

٣. الغدر فضيحة لصاحبه يوم القيامة.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. أوف بوعدك ولو شق عليك.

٢. التزم بشروطك في البيع.

٣. احفظ عهدك عند الخصومة.

صور مرفوضة في الواقع

١. نقض الوعد بلا عذر.

٢. الغدر بالشريك عند الربح.

٣. خيانة العهد وقت الخصومة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالوَفَاءِ وَالصِّدْقِ وَحِفْظِ العُهُودِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الغَدْرِ وَالخِيَانَةِ وَنَقْضِ المَوَاثِيقِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ إِذَا وَعَدُوا صَدَقُوا، وَإِذَا عَاهَدُوا وَفَوْا، وَإِذَا اؤْتُمِنُوا أَدَّوْا، وَإِذَا خَاصَمُوا لَمْ يَغْدِرُوا، وَإِذَا قَدَرُوا لَمْ يَظْلِمُوا.

اللَّهُمَّ احْفَظْ أَلْسِنَتَنَا مِنَ الوُعُودِ الكَاذِبَةِ، وَأَعْمَالَنَا مِنَ الخِيَانَاتِ الخَفِيَّةِ، وَقُلُوبَنَا مِنَ الاسْتِهَانَةِ بِالعُهُودِ، وَاجْعَلْ وَفَاءَنَا خَالِصًا لِوَجْهِكَ، دَالًّا عَلَى صِدْقِ إِيمَانِنَا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٠. حسن الشكر وقبح الجحود

الحَمْدُ للهِ المُنْعِمِ الوَهَّابِ، ذِي الفَضْلِ وَالإِحْسَانِ، الَّذِي أَغْدَقَ عَلَى عِبَادِهِ النِّعَمَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَدَعَاهُمْ إِلَى شُكْرِهَا وَحُسْنِ اسْتِعْمَالِهَا، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الجُحُودِ وَالكُفْرَانِ وَنِسْيَانِ المُنْعِمِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا ذَاكِرًا، وَلِسَانًا حَامِدًا، وَعَمَلًا صَالِحًا مَرْضِيًّا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ، وَلَهُ الفَضْلُ وَالمِنَّةُ، وَمَا بِالعِبَادِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ وَحْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَعْظَمُ النَّاسِ شُكْرًا، وَأَكْمَلُهُمْ عُبُودِيَّةً، وَأَدْوَمُهُمْ حَمْدًا لِرَبِّهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الشكرَ حياةُ القلب، وحارسُ النعمة، وبابُ الزيادة، ودليلُ معرفة العبد بربه وبنفسه؛ فالشاكر يرى النعمة من الله، فيحمده عليها، ويستعملها في طاعته، ولا يجعلها سببًا للكبر أو الغفلة. واحذر الجحود؛ فإنه عمى في القلب، وقسوة في الطبع، ونسيان للفضل، وقد يحرم صاحبه بركة النعمة، ويجعله يألف الإحسان حتى لا يراه، ويستكثر البلاء حتى ينسى ما غمره الله به من العطاء.

أولًا: حُسن الشكر

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

هذه الآية الكريمة تجعل الشكر مفتاحًا للزيادة، وتكشف أن النعمة لا تثبت بمجرد وجودها، بل تحفظ بالشكر، وتزكو بحسن استعمالها، وتتحول إلى عبادة إذا عرف العبد مصدرها، وأثنى على ربه بها، وصرفها فيما يرضيه.

والتدبر العملي في الآية أن الشكر ليس كلمةً تقال عند الرخاء فحسب، بل هو يقظة قلبية دائمة؛ أن ترى عافية بدنك، وأمن يومك، ورزق بيتك، وهداية قلبك، وتوفيق طاعتك، فتقول بقلبك ولسانك وعملك: الحمد لله. ومن شكر النعمة ألا يستعملها في معصية المنعم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عَجَبًا لِأَمْرِ المُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا». أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٦)، ومسلم برقم (٢٨١٩).

فهذه صورة عظيمة من شكره صلى الله عليه وسلم؛ إذ لم يجعله كمال مغفرة الله له سببًا للفتور، بل جعله باعثًا على مزيد العبادة، فالشكر الصادق لا يورث الكسل، بل يورث زيادة الطاعة، وحسن الاعتراف بالفضل، واستعمال النعمة فيما يحب الله.

ومن لطيف ما قيل في حُسن الشكر قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾: «والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك». تفسير السعدي (ص: ٤٢٢).

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «**قال أبو حاتم رضي الله عنه: إني لأستحب للمرء أن يلزم الشكر للصنائع والسعي فيها من غير قضائها إذا كان المنعم من ذوي القدر فيه**

والاهتمام بالصنائع؛ لأن الاهتمام ربما فاق المعروف وزاد على فعل الإحسان». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٢٦٧) .

وهذا يبين أن الشكر يكون لله أولًا على كل نعمة، ويكون للناس على ما يجريه الله على أيديهم من معروف، فمن لم يحفظ المعروف جحدًا أو استصغارًا ضعف خلقه، وسقطت مروءته.

من ثمرات حُسن التخلق بالشكر

١. الشكر سبب لزيادة النعم.

٢. الشكر يطهر القلب من الغفلة.

٣. الشكر يحفظ المعروف بين الناس.

فإذا تنبَّه قلب العبد للشكر، مات فيه الجحود، ورأى النعمة فضلًا من الله لا ثمرة استحقاق النفس.

ثانيًا: قُبح الجحود

قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

هذه الآية الكريمة تكشف صورة قبيحة من صور الجحود؛ أن يعرف الإنسان النعمة ثم ينكرها، وأن يرى آثار فضل الله عليه ثم يغفل عن شكره، وأن ينتفع بالإحسان ثم ينسى صاحبه أو يحتقر معروفه. والجحود ليس مجرد نسيان عابر، بل خلقٌ يطمس البصيرة، ويفسد العلاقة مع الله والناس.

والتدبر العملي في الآية أن من قبح الجحود أن صاحبه لا ينقصه الدليل على النعمة، بل ينقصه قلب شاكر؛ يعرف النعمة بعقله، وينكرها بسلوكه، فيشكو كثيرًا، ويحمد قليلًا، ويذكر ما فاته، وينسى ما أُعطي، وربما نسب الفضل إلى نفسه، ونسي فضل ربه عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا من جحود معروف الناس: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ». أخرجه أبو داود برقم (٤٨١١)، والترمذي برقم (١٩٥٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

وهذا الحديث يدل على أن جحود إحسان الناس خلقٌ مذموم، وأن من اعتاد كفران معروف الخلق كان ناقص الشكر لله؛ لأن الله أمر بشكر من أحسن، والدعاء له، وحفظ حقه، ورد معروفه بما يستطاع.

ويكشف هذا المعنى في قُبح الجحود قول السعدي رحمه الله: «وكفر النعمة ضد ذلك

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله في بيان حال من يكفر النعم: «ومن الناس من يكفر النعم وكفران النعم يكون من أحد رجلين»، ثم قال: «والرجل الآخر أن يكون ذا عقل لم يشكر النعمة استخفافا بالمنعم واستحقارا للنعمة وتهاونا في نفسه لهما أو لأحدهما فإذا كان كذلك يجب على العاقل ترك العود إلى فعل مثله والخروج باللائمة على نفسه إذا كان له خبرة به». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٢٦٧).

وفي هذا تنبيه دقيق إلى أن الجحود قد يكون عن استخفاف بالمنعم، أو استحقار للنعمة، أو تهاون في حق المعروف؛ وكل ذلك يفسد القلب، ويقطع أسباب المودة، ويجعل صاحبه غير أهل لمزيد الإحسان.

بعض الآثار لقُبح الجحود

١. الجحود سبب لزوال البركة.

٢. الجحود يقطع المودة بين الناس.

٣. الجحود يدل على قسوة القلب.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. احمد الله عند كل نعمة.

٢. اشكر من أحسن إليك.

٣. استعمل النعمة في الطاعة.

صور مرفوضة في الواقع

١. نسبة الفضل إلى نفسك.

٢. نسيان معروف الناس.

٣. استعمال النعمة في المعصية.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالشُّكْرِ وَالحَمْدِ وَحِفْظِ المَعْرُوفِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الجُحُودِ وَالكُفْرَانِ وَنِسْيَانِ الفَضْلِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا مُعْتَرِفَةً بِنِعَمِكَ، وَأَلْسِنَتَنَا لَاهِجَةً بِحَمْدِكَ، وَجَوَارِحَنَا مُسْتَعْمِلَةً نِعَمَكَ فِي مَرْضَاتِكَ، وَلا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْرِفُونَ النِّعْمَةَ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ، وَارْزُقْنَا شُكْرَكَ فِي السَّرَّاءِ، وَالصَّبْرَ فِي الضَّرَّاءِ، وَحِفْظَ المَعْرُوفِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَاجْعَلْنَا عِبَادًا شَاكِرِينَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١١. حسن الصبر وقبح الجزع

الحَمْدُ للهِ الصَّبُورِ الشَّكُورِ، اللَّطِيفِ الخَبِيرِ، الَّذِي يَبْتَلِي عِبَادَهُ لِيُهَذِّبَ قُلُوبَهُمْ، وَيَرْفَعَ دَرَجَاتِهِمْ، وَيُمَيِّزَ الصَّابِرَ مِنَ الجَازِعِ، وَالرَّاضِيَ مِنَ السَّاخِطِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الصَّابِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا ثَابِتًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَنَفْسًا مُطْمَئِنَّةً بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، وَبِيَدِهِ العَطَاءُ وَالمَنْعُ، وَإِلَيْهِ المَرْجِعُ وَالمَصِيرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَصْبَرُ النَّاسِ عَلَى البَلَاءِ، وَأَثْبَتُهُمْ عِنْدَ الشِّدَّةِ، وَأَكْمَلُهُمْ رِضًا بِحُكْمِ رَبِّهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الصبرَ زادُ الطريق، وسلاحُ المؤمن عند البلاء، وميزانُ صدقه عند نزول المكروه؛ فليس الصابر حجرًا لا يتألم، ولا قلبًا لا يحزن، ولكنه عبدٌ يعرف أن الأمر لله، فيحبس لسانه عن السخط، وجوارحه عن الحرام، وقلبه عن الاعتراض. واحذر الجزع؛ فإنه لا يرد فائتًا، ولا يرفع بلاءً، ولكنه يضاعف المصيبة، ويحرم الأجر، ويفتح على القلب أبواب السخط والضعف والاضطراب.

أولًا: حُسن الصبر

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

هذه الآية الكريمة تجعل البشارة لأهل الصبر عند نزول المصائب؛ لأنهم عرفوا حقيقة العبودية، فقالوا بقلوبهم وألسنتهم: نحن ملك لله، وأمرنا راجع إليه، وما أخذ فهو له، وما أبقى فهو من فضله، وإليه المصير والجزاء. فليست المصيبة نهاية الطريق، بل هي موطن امتحان ورفعة لمن صبر واحتسب.

والتدبر العملي في الآية أن الصبر يبدأ من اللحظة الأولى؛ حين يفجأ البلاء القلب، ويضطرب اللسان، وتبحث النفس عن مخرج. فمن وفقه الله قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وحبس نفسه عن التسخط، واستحضر أن أجر الصابر أعظم من ألمه، وأن الله لا يضيع من صبر له.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**». أخرجه البخاري برقم (١٢٨٣)، ومسلم برقم (٩٢٦) .

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما وقع عند موت ابنه إبراهيم عليه السلام، فقد دمعت عيناه وحزن قلبه، ومع ذلك قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**». أخرجه البخاري برقم (١٣٠٣)، ومسلم برقم (٢٣١٥) .

فهذه صورة كاملة للصبر النبوي؛ حزن بلا تسخط، ودمع بلا اعتراض، وألم إنساني لا يخرج صاحبه عن الرضا بأمر الله. فالصبر لا يمنع الحزن المشروع، وإنما يمنع القول والفعل الذي يسخط الله.

ومن كلام أهل العلم في حُسن الصبر قول السعدي رحمه الله في تفسير آيات الابتلاء: «**وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله**». تفسير السعدي (ص: ٧٥) .

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان أقسام الصبر: «**الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها وصبر على الأقدار والاقضية حتى لا يتسخطها**». عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، (ص: ٢٨) .

وهذا يبين أن الصبر ليس خلقًا خاصًّا بالمصائب وحدها، بل هو أصل عظيم في الدين كله؛ تصبر على الطاعة حتى تؤديها، وتصبر عن المعصية حتى تتركها، وتصبر على أقدار الله حتى لا تتسخطها.

من ثمرات حُسن التخلق بالصبر

١. الصبر سبب للبشارة والرحمة والهداية.

٢. الصبر يحفظ القلب من السخط.

٣. الصبر يثبت العبد عند الشدائد.

وبقدر ما يُربَّى قلب العبد على الصبر، يَضعُف فيه الجزع، وبستقبل العبدُ البلاءَ بثقة في حكمة ربه ولطفه.

ثانيًا: قُبح الجزع

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩-٢١].

هذه الآية الكريمة تكشف ضعف الإنسان إذا خلا قلبه من الإيمان والصبر؛ فإذا نزل به الشر اضطرب وجزع، وإذا أصابه الخير بخل ومنع. فالجزع ليس مجرد تألم من البلاء، فالألم طبع بشري، ولكنه تسخط واضطراب يخرج صاحبه عن الأدب مع الله، ويجعله يرى المصيبة أكبر من رحمة الله وحكمته ووعده.

والتدبر العملي في الآية أن الإنسان يحتاج إلى تربية قلبه قبل نزول البلاء؛ فمن لم يتعلم الصبر في أيام العافية غلبه الجزع عند الشدة. فإذا نزل المكروه فليحذر العبد من كلمات الاعتراض، ومن لطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية، وليعلم أن الجزع يضيف إلى ألم المصيبة ألم الحرمان من الأجر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ». أخرجه البخاري برقم (١٢٩٤)، ومسلم برقم (١٠٤).

وهذا الحديث يبين أن الجزع المحرم ليس حزن القلب ولا دمع العين، وإنما هو ما ظهر من أفعال وأقوال الجاهلية: لطم، وشق، ونياحة، واعتراض، وتسخط. فالمؤمن يحزن، لكنه لا يخرج حزنه عن حدود الشرع.

ومن لطيف ما قيل في قُبح الجزع قول السعدي رحمه الله: «**فالجازع، حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر**». تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص: ٧٥).

وقال ابن القيم رحمه الله في بيان حال من غلبته شهوته وضعف صبره: «**الحالة الثانية أن تكون القوة والغلبة لداعي الهوى فيسقط منازعه باعث الدين بالكلية فيستسلم البائس للشيطان وجنده فيقودونه حيث شاءوا**». عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن القيم، (ص: ٢٤).

وهذا من أعظم ما يبين خطر ضعف الصبر؛ فإن النفس إذا لم يضبطها باعث الدين قادها الهوى إلى التسخط، والاضطراب، والأقوال والأفعال التي تزيد البلاء ولا ترفعه.

بعض الآثار لقُبح الجزع

١. الجزع يضاعف أثر المصيبة.

٢. الجزع يحرم العبد كمال الأجر.

٣. الجزع يفتح باب التسخط والاعتراض.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. قل: إنا لله عند المصيبة.

٢. احبس لسانك عن التسخط.

٣. احتسب أجرك عند البلاء.

صور مرفوضة في الواقع

١. الاعتراض على قدر الله.

٢. النياحة عند المصيبة.

٣. نشر التسخط بين الناس.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَحُسْنِ الاِحْتِسَابِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الجَزَعِ وَالسُّخْطِ وَالاِعْتِرَاضِ عَلَى قَضَائِكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا عِنْدَ البَلَاءِ مِنَ الصَّابِرِينَ، وَعِنْدَ النِّعْمَاءِ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَعِنْدَ القَضَاءِ مِنَ الرَّاضِينَ، وَلا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ إِذَا أُصِيبُوا جَزِعُوا، وَإِذَا ابْتُلُوا سَخِطُوا.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، وَاحْفَظْ أَلْسِنَتَنَا مِنْ كَلِمَاتِ السُّخْطِ، وَجَوَارِحَنَا مِنْ أَفْعَالِ الجَاهِلِيَّةِ، وَارْزُقْنَا صَبْرًا جَمِيلًا، وَأَجْرًا عَظِيمًا، وَعَاقِبَةً حَسَنَةً في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٢. حسن الرحمة وقبح القسوة المذمومة

الحَمْدُ للهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، البَرِّ الكَرِيمِ، الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَجَعَلَ الرَّحْمَةَ زِينَةَ القُلُوبِ، وَسَبَبًا لِلأُلْفَةِ وَالمَحَبَّةِ، وَحَذَّرَ عِبَادَهُ مِنْ قَسْوَةٍ تُظْلِمُ القَلْبَ، وَغِلْظَةٍ تُنَفِّرُ الخَلْقَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا رَحِيمًا، وَلِسَانًا لَيِّنًا، وَعَمَلًا صَالِحًا مَقْبُولًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ، وَخَيْرُ الغَافِرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَحْمَةُ اللهِ المُهْدَاةُ، وَنِعْمَتُهُ المُسْدَاةُ، أَرْحَمُ النَّاسِ بِالنَّاسِ، وَأَلْيَنُهُمْ جَانِبًا، وَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الرحمةَ حياةُ القلب، وجمالُ الخلق، وعنوانُ القرب من الله؛ بها يلين اللسان، ويُحسن المرء إلى الضعيف، ويرفق بالصغير، ويغيث الملهوف، ويجبر الخاطر.

وليست الرحمة ضعفًا يُضيعُ الحقوق، ولا تهاونًا يترك الظلم، لكنها رقةٌ تقود إلى الإحسان، وحكمةٌ تضبط القوة بالعدل. واحذر القسوة **المذمومة**؛ فإنها تُيبس القلب، وتُغلظ اللسان، وتُنفِّر الناس، وقد تجعل صاحبَها يرى آلام الخلق فلا يتحرك، ويسمع أنين الضعفاء فلا يرحم.

أولًا: حُسن الرحمة

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

هذه الآية الكريمة تبيّن أن لين النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه كان من رحمة الله به وبهم؛ فالرحمة ليست خلقًا هامشيًّا في الدعوة والتربية والمعاملة، بل أصلٌ عظيم يجمع القلوب، ويقرب النفوس، ويفتح أبواب القبول. ولو كان الداعي فظًّا غليظ القلب لتفرقت عنه القلوب، وإن كان يحمل الحق.

والتدبر العملي في الآية أن الرحمة تظهر في اللسان قبل اليد، وفي النظرة قبل القرار، وفي طريقة النصح قبل مضمونه؛ فمن أراد أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الحق والرحمة، وبين النصح واللين، وبين الحزم المشروع وترك الفظاظة والغلظة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ في الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ في السَّمَاءِ**». أخرجه أبو داود برقم (٤٩٤١)، والترمذي برقم (١٩٢٤)، وقال: حديث حسن صحيح.

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما ثبت أنه قبّل **الحسن بن علي** رضي الله عنهما، وعنده **الأقرع بن حابس التميمي** جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: «**مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ**». أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧)، ومسلم برقم (٢٣١٨).

فهذه صورة نبوية مشرقة في الرحمة بالصغار؛ إذ لم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة عاطفةً مكتومةً في القلب، بل أظهرها تقبيلًا وحنانًا وتعليمًا، وبيَّن أن من حُرم الرحمة بالخلق عرّض نفسَهُ للحرمان من رحمة الله.

ويقول العلامة عبد الرحمن السَّعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٥]: «**بلين جانبك، ولطف خطابك لهم، وتوددك، وتحببك إليهم، وحسن خلقك والإحسان التام بهم**». تفسير السعدي (ص: ٥٩٨).

وقال رحمه الله في بيان خلق النبي صلى الله عليه وسلم: «**فهذه أخلاقه صلى الله عليه وسلم، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة، ودفع المضار، ما هو مشاهد**». تفسير السعدي (ص: ٥٩٨) .

وهذا يبين أن الرحمة ليست مجرد إحساس داخلي، بل خُلقٌ يظهر في لين الجانب، ولطف الخطاب، والتَّودد، وحسن الخلق، والإحسان التام؛ وبها تتحقق مصالح عظيمة، وتندفع مضار كثيرة.

من ثمرات حُسن التخلق بالرحمة

١. الرحمة سبب لنيل رحمة الله.

٢. الرحمة تجمع القلوب وتؤلف النفوس.

٣. الرحمة تفتح أبواب الإصلاح والتربية.

ومتى رقت النفس بالرحمة، انكسرت قسوتها، وصار وجع الناس يطرق قلب المؤمن قبل أن ينطق به لسانه.

ثانيًا: قُبح القسوة المذمومة

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ﴾[البقرة: ٧٤].

هذه الآية الكريمة تكشف خطر قسوة القلب؛ إذ قد يرى الإنسان الآيات، ويسمع المواعظ، وتحيط به النعم، ثم يبقى قلبه غليظًا لا يتأثر، ولا يلين، ولا يخشع. والقسوة المذمومة ليست حزمًا في الحق، ولا قوةً في موضعها، وإنما هي غلظةٌ تطمس الرحمة، وتمنع الموعظة من التأثير، وتجعل صاحبها بعيدًا عن آلام الناس وحاجاتهم.

والتدبر العملي في الآية أن القلب إذا قسا ضعف انتفاعه بالقرآن، وقلت رحمته بالخلق، وغلظت عبارته في النصيحة، وربما ظن قسوته قوة، وهي في الحقيقة حرمان من رقة

الإيمان. فليفتش العبد قلبه: **هل تلينه الموعظة؟ هل يرحم الضعيف؟ هل يتأثر بالمصاب؟ هل يخاف من قسوة تطول حتى لا يشعر بها؟**

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «**مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ**». أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧)، ومسلم برقم (٢٣١٨).

وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا: «**لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ**». أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٦)، ومسلم برقم (٢٣١٩).

فهذان الحديثان يدلان على قبح القسوة المذمومة؛ لأنها تُذهب رحمة العبد بالخلق، ومن لا يرحم الخلق عرّض نفسه لفوات رحمة الله الخاصة، والجزاء من جنس العمل.

ويكشف هذا المعنى في قُبح القسوة قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم**﴾: «أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة... ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يُوجب رِقة القلبِ وانقيادِهِ». تفسير السعدي (ص: ٥٥).

وهذا يبين أن من أقبح آثار القسوة أن القلب لا ينتفع بالموعظة كما ينبغي، ولا ينقاد للحق كما ينبغي، بل يشتد ويغلظ حتى تصير الآيات والعبر تمر عليه ولا تحرك فيه رقةً ولا خشيةً.

بعض الآثار لقُبح القسوة المذمومة

١. القسوة تمنع القلب من قبول الموعظة.

٢. القسوة تنفر الناس من صاحبها.

٣. القسوة تحرم صاحبها رقة الرحمة.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. ارحم الصغير والضعيف.

٢. الطف في نصح المخطئ.

٣. أعن المحتاج بما تستطيع.

صور مرفوضة في الواقع

١. الشماتة بمصيبة المسلم.

٢. إهانة الضعيف والمسكين.

٣. الغلظة في كل نصيحة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالرَّحْمَةِ وَالرِّفْقِ وَلِينِ الجَانِبِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ القَسْوَةِ المَذْمُومَةِ، وَالغِلْظَةِ، وَجَفَاءِ القَلْبِ، وَسُوءِ الخُلُقِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا رَحِيمَةً، وَأَلْسِنَتَنَا لَيِّنَةً، وَأَيْدِيَنَا مُحْسِنَةً، وَأَخْلَاقَنَا قَرِيبَةً مِنْ خُلُقِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا رَحْمَةً نَرْحَمُ بِهَا الصَّغِيرَ، وَنُوَقِّرُ بِهَا الكَبِيرَ، وَنُعِينُ بِهَا الضَّعِيفَ، وَنَجْبُرُ بِهَا المَكْسُورَ، وَنَنْصَحُ بِهَا المُخْطِئَ مِنْ غَيْرِ فَظَاظَةٍ وَلا غِلْظَةٍ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ قَاسٍ لا يَخْشَعُ، وَعَيْنٍ لا تَدْمَعُ، وَنَفْسٍ لا تَرْحَمُ، وَخُلُقٍ يُنَفِّرُ عِبَادَكَ مِنَ الخَيْرِ وَالهُدَى.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٣. حسن الرفق وقبح العنف

الحَمْدُ للهِ اللَّطِيفِ البَرِّ الرَّحِيمِ، الَّذِي يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، وَيَجْعَلُ اللِّينَ سَبَبًا لِفَتْحِ القُلُوبِ، وَالإِحْسَانَ طَرِيقًا لِإِصْلَاحِ النُّفُوسِ، وَحَذَّرَ عِبَادَهُ مِنَ العُنْفِ وَالغِلْظَةِ وَالاِعْتِدَاءِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ مَنْ رَجَا لُطْفَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا لَيِّنًا، وَلِسَانًا رَفِيقًا، وَخُلُقًا كَرِيمًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ فَسَوَّى، وَقَدَّرَ فَهَدَى، وَشَرَعَ لِعِبَادِهِ مَا فِيهِ الخَيْرُ وَاليُسْرُ وَالرَّحْمَةُ، **وَأَشْهَدُ** أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْفَقُ النَّاسِ بِالنَّاسِ، وَأَحْلَمُهُمْ عَلَى الجَاهِلِ، وَأَلْيَنُهُمْ مَعَ الضَّعِيفِ، وَأَحْكَمُهُمْ فِي مَوَاضِعِ الحَزْمِ وَالرَّحْمَةِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الرفقَ نورٌ في التعامل، وزينةٌ في القول، وحكمةٌ في الإصلاح؛ به يدخل النصح إلى القلب، وتُعالَج الأخطاء من غير كسر، وتُفتح الأبواب التي تغلقها القسوة. وليس الرفق ضعفًا يضيع الحق، ولا مداهنةً تسكت عن الباطل، ولكنه لينٌ منضبطٌ بالشرع، وحسنُ سياسةٍ للنفس والناس. **واحذر العنف**؛ فإنه يفسد ما يريد إصلاحه، ويزرع الخوف حيث يراد الحب، وينفر القلوب من الحق، وقد يجر صاحبه إلى ظلم واعتداء يندم عليه.

أولًا: حُسن الرفق

قال تعالى: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

هذه الآية الكريمة تبيّن عظمة الرفق في الدعوة والإصلاح؛ فقد أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يقولا لفرعون قولًا لينًا، مع أنه ادعى الربوبية وطغى في الأرض.

فإذا كان اللين مأمورًا به في مخاطبة طاغيةٍ كفرعون، فكيف بمن نعاملهم من أهلنا وطلابنا وإخواننا ومن نريد إصلاحهم وهدايتهم؟

والتَّدبر العملي في الآية أن الرفق لا يعني ترك الحق، فقد أُمر موسى وهارون بإبلاغ فرعون أعظم حق، ولكن بأسلوب لين يفتح باب التذكر والخشية. فمن أراد أن يصلح فليحمل الحق برحمة، وليعرض النصيحة بحكمة، وليعلم أن قسوة الأسلوب قد تحجب نور الحق عن القلوب.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**». أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٣).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «**قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**». أخرجه البخاري برقم (٦١٢٨).

فهذه صورة عظيمة من رفقه صلى الله عليه وسلم؛ إذ عالج الخطأ بلا صياح ولا تهور، ومنع الناس من التعنيف الذي قد يفسد ولا يصلح، ثم وجّه إلى إزالة الأذى وتعليم الجاهل. فالرفق هنا حفظ حرمة المسجد، وحفظ قلب المخطئ، وحقق المقصود بأحسن طريق.

ومن كلام أهل العلم في حُسن الرفق ما نقله الطيبي عن بعض العلماء: «الرفق ضد العنف وهو اللطف وأخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها». شرح المشكاة للطيبي = الكاشف عن حقائق السنن للطيبي (١٠/ ٣٢٢٩).

وجاء في فتح المنعم في باب فضل الرفق: «الرفق واللين يطوع المشكلات ويحل العقد ويتغلب على العقبات وهو وسيلة ناجحة». فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، (١٠/ ٧٣).

وهذا يبين أن الرفق ليس مجرد لطف في العبارة، بل منهج إصلاح، وأخذ للأمور بأحسن الوجوه وأيسرها، وطريق لحل المشكلات وتذليل العقبات.

من ثمرات حُسن التخلق بالرفق

١. الرفق يفتح القلوب لقبول النصيحة.

٢. الرفق يزين القول والعمل.

٣. الرفق يعين على إصلاح الأخطاء.

فإذا تزين الخلق بالرفق، خرجت منه خشونة العنف، فَلَانَت الكلمة من غير ضعف، وقوي البيان من غير قسوة.

ثانيًا: قُبح العنف

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

هذه الآية الكريمة تقرر أصلًا عظيمًا في منع الاعتداء؛ فالقوة لا تبيح الظلم، والغضب لا يبرر التجاوز، وتصحيح الخطأ لا يسوغ العنف.

والعنف المذموم هو ما خرج بصاحبه إلى الغلظة المؤذية، أو الاعتداء على الناس، أو تعذيبهم، أو ترويعهم، أو كسر قلوبهم باسم الإصلاح.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن يزن قوته بميزان الشرع، فلا يجعل قدرته سببًا للبطش، ولا يجعل غضبه حاكمًا على أفعاله، ولا يخلط بين الحزم المشروع والعنف المذموم. فالحزم قد يكون رحمة إذا ضبط بالعدل، أما العنف فهو تعدٍّ يفسد القلب والعمل والعلاقات.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «**إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**». أخرجه مسلم برقم (٢٦١٣).

وهذا الحديث وعيد شديد لمن جعل قوته وسلطته طريقًا لتعذيب الناس وإيذائهم؛ فالعنف ليس شجاعة، ولا رجولة، ولا إصلاحًا، وإنما قد يكون ظلمًا يستوجب العقوبة إذا جاوز حدود الشرع والعدل.

ومن لطيف ما قيل في قُبح الغلظة والعنف ما قاله السعدي رحمه الله في بيان سوء خلق من يخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم: «**شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه**». تفسير السعدي (ص: ٥٩٨).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه مبينًا آثار هذه المعاملة: «**قد حصل من هذه المعاملة، من المفاسد، وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرًا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمَّل نفسَهُ ورفعها، وأعجب بعمله**». تفسير السعدي (ص: ٥٩٨).

وفي هذا بيان أن العنف لا يفسد العلاقة وحدها، بل يُعطِّل المصالح، ويفتح أبواب المفاسد، ويجعل صاحبه بعيدًا عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في اللين وخفض الجناح وحسن الخلق.

بعض الآثار لقُبح العنف

١. العنف ينفر القلوب من الحق.

٢. العنف يعطل المصالح ويفتح المفاسد.

٣. العنف يوقع صاحبه في الظلم.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. انصح المخطئ بلطف وحكمة.

٢. علِّم الجاهل بلا إهانة.

٣. عالج الخطأ بأيسر طريق.

صور مرفوضة في الواقع

١. الصراخ عند كل خطأ.

٢. ضرب الضعيف بلا حق.

٣. ترويع الناس باسم الإصلاح.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالرِّفْقِ وَاللِّينِ وَحُسْنِ التَّأَتِّي، وَطَهِّرْنَا مِنَ العُنْفِ وَالغِلْظَةِ وَالاعْتِدَاءِ وَسُوءِ الخُلُقِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا رُفَقَاءَ في دَعْوَتِنَا، رُحَمَاءَ في نُصْحِنَا، حُكَمَاءَ في إِصْلَاحِنَا، لا نُضَيِّعُ الحَقَّ بِمُدَاهَنَةٍ، وَلا نُفْسِدُهُ بِعُنْفٍ وَفَظَاظَةٍ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا رِفْقًا يُزَيِّنُ أَقْوَالَنَا وَأَعْمَالَنَا، وَيَفْتَحُ قُلُوبَ مَنْ نُخَاطِبُهُمْ، وَيَجْعَلُنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ قَاسٍ، وَلِسَانٍ عَنِيفٍ، وَيَدٍ ظَالِمَةٍ، وَأُسْلُوبٍ يُنَفِّرُ عِبَادَكَ مِنَ الهُدَى، وَاجْعَلْنَا عَلَى هَدْيِ نَبِيِّكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الرِّفْقِ وَالحِلْمِ وَالرَّحْمَةِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٤. حسن الكرم وقبح البخل

الحَمْدُ للهِ الكَرِيمِ الوَهَّابِ، ذِي الجُودِ وَالإِنْعَامِ، الَّذِي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ، وَيَأْمُرُ عِبَادَهُ بِالبَذْلِ وَالإِحْسَانِ، وَيُحَذِّرُهُمْ مِنَ البُخْلِ وَالشُّحِّ وَحَبْسِ الحُقُوقِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا كَرِيمًا، وَيَدًا مُنْفِقَةً، وَنَفْسًا زَكِيَّةً مُحِبَّةً لِلْخَيْرِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، لا يَنْقُصُ مَا عِنْدَهُ كَثْرَةُ العَطَاءِ، وَلا يُعْجِزُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَجْوَدُ النَّاسِ، وَأَكْرَمُهُمْ نَفْسًا، وَأَبْذَلُهُمْ لِلْخَيْرِ، وَأَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ الكرمَ نورٌ في اليد، وسعةٌ في القلب، ورفعةٌ في الخلق؛ به تُسدُّ حاجة المحتاج، ويُجبر خاطر المكسور، وتُبنى جسور المودة بين الناس.

وليس الكرم تبذيرًا ولا إسرافًا ولا طلبًا للمدح، ولكنه بذلٌ في موضعه، وإحسانٌ بالمال والجاه والعلم والوقت والكلمة الطيبة.

واحذر البخل؛ فإنه ضيقٌ في النفس، وقسوةٌ في القلب، وحرمانٌ من بركة العطاء، وقد يمنع صاحبه حق الله وحق الخلق، فيخسر المال والمروءة والأجر.

أولًا: حُسن الكرم

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

هذه الآية الكريمة ترفع منزلة الإنفاق؛ فالبر الكامل لا يناله العبد حتى يبذل مما يحب، لا من فضول ما لا يلتفت إليه. والكرم الصادق يظهر حين يقدم المؤمن مرضاة الله على شح النفس، وحين يعلم أن ما أنفقه لله محفوظ عند الله، وأن الكريم سبحانه لا يضيع إحسان المحسنين.

والتّدبر العملي في الآية أن الكرم امتحانٌ للقلب قبل اليد؛ فمن أحب الله قدّم مما يحب، ومن أيقن بالخلف لم يخش الفقر من الإنفاق، ومن عرف أن الله عليم بما ينفق، طابت نفسه بالبذل ولو لم يره الناس؛ لأن نظر الله أعظم من ثناء الخلق.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ». أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ». أخرجه البخاري برقم (٦)، ومسلم برقم (٢٣٠٨).

فهذه صورة عظيمة من كرمه صلى الله عليه وسلم؛ إذ كان جوده عامًّا سريعًا نافعًا، كالنفع الذي تحمله الريح المرسلة، وكان رمضان يزيده بذلًا؛ لأن القرآن يربي القلب على السخاء، ويعلّمه أن ما عند الله خير وأبقى.

ويكشف هذا المعنى في حُسن الكرم قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «**الجود بما ملك وترك الأذى إلى الخاص والعام، فمن أراد الرفعة العالية في العقبى والمرتبة الجليلة في الدنيا فليلزم الجود بما ملك وترك الأذى إلى الخاص والعام**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٢٤١).

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله في إكرام الضيف: «**ومن إكرام الضيف طيب الكلام وطلاقة الوجه والخدمة بالنفس فإنه لا يذل من خدم أضيافه كما لا يعز من استخدمهم أو طلب لقراه أجرا**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٢٦١) .

وهذا يبين أن الكرم أوسع من بذل المال وحده؛ فمن الكرم بذل المعروف، وترك الأذى، وحسن استقبال الضيف، وطيب الكلام، وطلاقة الوجه، وخدمة الناس بما يقدر عليه العبد ابتغاء وجه الله.

من ثمرات حُسن التخلق بالكرم

١. الكرم سبب للرفعة وحسن الذكر.

٢. الكرم يجبر القلوب ويدفع الحاجات.

٣. الكرم يزكي النفس من الشح.

وحين يتسع قلب العبد بالكرم، يضيق بالبخل، ويُوقن صاحبُهُ أن ما يُدَّخر له عند الله أبقى مما تُمسكه الأيدي.

ثانيًا: قُبح البخل

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

هذه الآية الكريمة تكشف حقيقة البخل؛ فالبخيل يظن أن إمساكه خيرٌ له، وأن ما حبسه باقٍ له، لكن الله يخبر أن ذلك شر عليه إذا منع حق الله وحق الخلق. فالمال مال الله، والعبد مستخلف فيه، ومن بخل بما آتاه الله من فضله عاد عليه بخلُه وبالًا وحسرة.

والتدبر العملي في الآية أن البخل ليس حفظًا للمال على وجه الحكمة، بل هو منعٌ مذموم لما ينبغي بذله، وحرمانٌ للنفس من شرف الإنفاق. فمن رزقه الله فليتذكر أن ميراث السماوات والأرض لله، وأن ما أنفقه في الخير ذخيرة، وما منعه عن واجبه حسرة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «**وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**». أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٨).

وهذا الحديث يبين أن الشح ليس خلقًا فرديًّا صغيرًا، بل داءٌ خطير إذا تمكن من النفوس جرّها إلى الظلم والاعتداء والتقاطع، وربما حملها على سفك الدماء واستحلال المحرمات.

ومن كلام أهل العلم في قُبح البخل قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «**وما اتزر رجل بإزار أهتك لعرضه ولا أثلم لدينه من البخل**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٢٣٨).

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «**أبخل البخلاء من بخل بإطعام الطعام كما أن من أجود الجود بذله**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٢٦١).

وهذا يبين أن البخل يعيب صاحبه في دينه ومروءته، وأن من أقبح صوره أن يبخل الإنسان بما تدعو إليه الحاجة والمروءة، وبما يكون سببًا لإكرام الناس وسد حاجاتهم.

بعض الآثار لقُبح البخل

١. البخل يذهب المروءة وحسن الذكر.

٢. البخل يمنع الحقوق ويورث الإثم.

٣. البخل يملأ القلب بالشح والخوف.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. أنفق مما تحب لله.

٢. أكرم ضيفك بقدر استطاعتك.

٣. ابذل المعروف بلا منّ.

صور مرفوضة في الواقع

١. منع الزكاة الواجبة.

٢. احتقار القليل فلا تبذله.

٣. إغلاق بابك عن المحتاج.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالكَرَمِ وَالجُودِ وَالسَّخَاءِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ البُخْلِ وَالشُّحِّ وَالمَنِّ وَحُبِّ الإِمْسَاكِ عَنْ وُجُوهِ الخَيْرِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَمْوَالَنَا عَوْنًا عَلَى طَاعَتِكَ، وَأَيْدِيَنَا مَفَاتِيحَ لِلْمَعْرُوفِ، وَقُلُوبَنَا وَاسِعَةً لِلإِحْسَانِ، وَلا تَجْعَلْنَا مِمَّنْ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَيْتَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا كَرَمًا بِلا إِسْرَافٍ، وَحِفْظًا لِلْمَالِ بِلا بُخْلٍ، وَإِنْفَاقًا فِي مَوَاضِعِ رِضَاكَ، وَبَذْلًا يُطَهِّرُ نُفُوسَنَا، وَيَجْبُرُ قُلُوبَ عِبَادِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ شُحِّ مُطَاعٍ، وَهَوًى مُتَّبَعٍ، وَنَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَيَدٍ لا تُنْفِقُ، وَقَلْبٍ لا يَرْحَمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٥. حسن القناعة وقبح الطمع

الحَمْدُ للهِ الرَّزَّاقِ الكَرِيمِ، الوَهَّابِ العَلِيمِ، الَّذِي قَسَمَ الأَرْزَاقَ بِحِكْمَتِهِ، وَدَبَّرَ أَمْرَ عِبَادِهِ بِلُطْفِهِ، وَجَعَلَ القَنَاعَةَ رَاحَةً لِلْقُلُوبِ، وَعِزًّا لِلنُّفُوسِ، وَحَذَّرَ مِنَ الطَّمَعِ وَالحِرْصِ وَالتَّعَلُّقِ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الرَّاضِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا قَنُوعًا، وَنَفْسًا عَفِيفَةً، وَرِزْقًا طَيِّبًا مُبَارَكًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، بِيَدِهِ مَفَاتِيحُ الرِّزْقِ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعُ الأَمْرِ، وَمَا بِالعَبْدِ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ وَحْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَقْنَعُ النَّاسِ قَلْبًا، وَأَزْهَدُهُمْ فِي الفَانِي، وَأَعْلَمُهُمْ بِمَا عِنْدَ اللهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ القناعةَ غِنى القلب، وراحة النفس، وسلامة الصدر من التطلع المذل؛ بها يعيش العبد مطمئنًا بما قسم الله له، ساعيًا في رزقه بلا هلع، آخذًا بالأسباب بلا عبودية لها. وليست القناعة كسلًا عن العمل، ولا رضا بالدون مع القدرة على الخير، ولكنها رضا القلب بعد بذل السبب، وكف النفس عن التعلق بما في أيدي الناس.

واحذر الطمع؛ فإنه يطيل الهم، ويذل الوجه، ويفتح أبواب الحسد والشكوى، وربما جعل صاحبه لا يشبع من الدنيا ولو كثرت في يده.

أولًا: حُسن القناعة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

هذه الآية الكريمة تربي القلب على القناعة، وتمنعه من مد العين إلى زخارف الدنيا التي مُتِّع بها غيره؛ فإن ما في أيدي الناس فتنةٌ وابتلاء، وليس دليل كرامة مطلقة، ورزق الله الذي يقود إلى رضاه خيرٌ وأبقى من متاع يزول، وزهرة تذبل، ونعيم ينقطع.

والتدبر العملي في الآية أن القانع لا يحرق قلبه بالمقارنات، ولا يفسد يومه بالنظر إلى ما عند الناس، بل ينظر إلى ما آتاه الله من دين وعافية وستر وكفاية، ويعلم أن الرزق الحقيقي ما أعانه على طاعة الله، لا ما زاد قلقه وعلّق قلبه بالدنيا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ». أخرجه مسلم برقم (١٠٥٤).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم، فرأى أثر الحصير في جنبه، فبكى، وقال: يا رسول الله، إن كسرى وقيصر فيما هما فيه، وأنت رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ». أخرجه البخاري برقم (٤٩١٣)، ومسلم برقم (١٤٧٩).

فهذه صورة عظيمة من قناعته صلى الله عليه وسلم وزهده فيما عند أهل الدنيا؛ لم يكن عجزًا عن نيل المتاع، ولا جهلًا بقدر الراحة، لكنه اختيار لما عند الله، وتعليم للأمة أن رفعة العبد ليست بكثرة ما يملك، بل بصدق ما يطلب، وحسن ما يرجو، وسلامة قلبه من الاغترار بالدنيا.

ومن لطيف ما قيل في حُسن القناعة قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «**القناعة تكون بالقلب فمن غني قلبه غنيت يداه ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه ومن قنع لم يتسخط وعاش آمنا مطمئنا ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائت نهاية لرغبته**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان، (ص: ١٥٠-١٥١).

وهذا يبين أن القناعة ليست قلة مال، بل غنى قلب؛ فرب غني فقير النفس لا يشبع، ورب قليل المال غني القلب مطمئن البال، قد كفاه الله شر التطلع والحرص وذل السؤال.

من ثمرات حُسن التخلق بالقناعة

١. القناعة تورث غنى القلب وطمأنينته.

٢. القناعة تحفظ العبد من ذل السؤال.

٣. القناعة تقطع مادة الحسد والشكوى.

ومتى تشربت النفس القناعة، انكسر فيها الطمع، واستراحت من ذل التطلع إلى ما في أيدي الناس.

ثانيًا: قُبح الطمع

قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

هذه الآية الكريمة تكشف حال من شغله التكاثر والتفاخر والتزيد عن حقيقة المصير؛ فالطمع إذا استولى على القلب شغل صاحبه بما يزيد، لا بما ينفع، وبما يملك، لا بما يزكيه، حتى يفجأه الموت وقد أفنى عمره في سباق لا يشبع.

والتدبر العملي في الآية أن الإنسان قد يطلب الدنيا ثم تنقلب الدنيا طالبة لقلبه ووقته ودينه؛ فيقيس قيمته بما جمع، ويقارن نفسه بمن فوقه، وينسى أن آخر الطريق قبر، وأن ما حمله إلى الآخرة ليس ما جمعه، بل ما قدمه وأصلح به قلبه وعمله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا من اتساع الطمع في الدنيا: «**لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ، لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**». أخرجه مسلم برقم (١٠٤٨).

وهذا الحديث يبين أن الطمع إذا لم يضبطه الإيمان لا يقف عند حد؛ فكلما امتلأت يد صاحبه طلب المزيد، وكلما اتسعت دنياه ضاق قلبه، حتى يذكّره الموت بحقيقة الشبع الذي لا يكون إلا بامتلاء الجوف ترابًا، أو بتوبة صادقة تكسر سلطان الحرص.

ويكشف هذا المعنى في قُبح الطمع قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «**الواجب على العاقل مجانبة المسألة على الأحوال كلها ولزوم ترك التعرض؛ لأن الإفكار في العزم على السؤال يورث المرء مهانة في نفسه ويحطه رتوة عن مرتبته**». روضة العقلاء (ص: ١٤٥) .

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «**لا يجب للعاقل أن يبذل وجهه لمن يكرم عليه قدره ويعظم عنده خطره، فكيف بمن يهون عليه رده ولا يكرم عليه قدره**». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٤٧) .

وفي هذا تحذير من طمع يذل النفس، ويفسد المروءة، ويجعل العبد يعلق قلبه بالخلق، مع أن الرزق بيد الله وحده. فالعاقل يصون وجهه، ويأخذ بالأسباب، ويطلب من الله، ولا يجعل حاجته بابًا لإراقة عزته حيث لا ينبغي.

بعض الآثار لقُبح الطمع

١. الطمع يذل النفس ويضعف المروءة.

٢. الطمع يطيل الهم ويذهب الطمأنينة.

٣. الطمع يفتح أبواب الحسد والشكوى.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. ارض بما قسم الله لك.

٢. خذ بالأسباب بلا تعلق.

٣. انظر لمن هو دونك.

صور مرفوضة في الواقع

١. مد العين لما عند الناس.

٢. سؤال الناس بلا حاجة.

٣. الحسد لأجل متاع الدنيا.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالقَنَاعَةِ وَالعَفَافِ وَغِنَى النَّفْسِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الطَّمَعِ وَالحِرْصِ وَمَدِّ العَيْنِ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنَ الرِّضَا مَا تُسَكِّنُ بِهِ قُلُوبَنَا، وَمِنَ اليَقِينِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْنَا فَوَاتَ الدُّنْيَا، وَمِنَ العَفَافِ مَا يَحْفَظُ وُجُوهَنَا عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا نَأْخُذُ بِالأَسْبَابِ وَقُلُوبُنَا مُعَلَّقَةٌ بِكَ، وَنَطْلُبُ الرِّزْقَ مِنْ حِلِّهِ، وَنَرْضَى بِمَا قَسَمْتَهُ لَنَا، وَنَسْتَعِينُ بِنِعَمِكَ عَلَى طَاعَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَعَيْنٍ لا تَقْنَعُ، وَقَلْبٍ يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا، وَطَمَعٍ يُذِلُّنَا لِغَيْرِكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٦. حسن العفة وقبح الفجور

الحَمْدُ للهِ القُدُّوسِ، الحَيِّ السِّتِّيرِ، الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِالعِفَّةِ وَالنَّزَاهَةِ، وَحِفْظِ الفُرُوجِ وَالأَبْصَارِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الفُجُورِ وَالفَوَاحِشِ وَمَسَالِكِ الرَّدَى، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ المُتَطَهِّرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا نَقِيًّا، وَنَفْسًا عَفِيفَةً، وَجَوَارِحَ مَحْفُوظَةً عَنْ مَحَارِمِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيَجْزِي العِبَادَ عَلَى السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَطْهَرُ النَّاسِ قَلْبًا، وَأَعَفُّهُمْ نَفْسًا، وَأَحْفَظُهُمْ لِحُدُودِ اللهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ العفةَ سياجُ الكرامة، وحارسُ القلب، وطهارةُ السلوك؛ بها يحفظ المؤمن بصره، ولسانه، وفرجه، وماله، ومروءته، فلا يمد يدَهُ إلى حرامٍ، ولا عينَهُ إلى فتنة، ولا قلبَهُ إلى شهوة تجره إلى غضب الله. وليست العفةُ حرمانًا من الطيب المباح، ولا كبتًا للفطرة، لكنها ضبطٌ للشهوة، وانتظارٌ للحلال، وصيانةٌ للنفس عن مواطن السقوط.

واحذر الفجور؛ فإنه يهْتِكُ سِترَ القلب قبل سِتر الجسد، ويُفسد الفطرة، ويقود صاحبَهُ من نظرة إلى خطوة، ومن خطوة إلى هاوية، حتى يألف القبيح ويستثقل الطُّهر.

أولًا: حُسن العفة

قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

هذه الآية الكريمة تربّي المؤمن على العفة عند العجز عن أسباب النكاح، وتُعلمه أن من لم يجد طريق الحلال الآن فليس له أن يفتح على نفسه بابَ الحرام، بل يصبر، ويستعف، ويأخذ بالأسباب التي تعينه على طهارة قلبه وجوارحه حتى يغنيَهُ اللهُ من فضله.

والتدبر العملي في الآية أن العفة لا تكون بالأماني، بل بالمجاهدة؛ بغض البصر، وترك الخلوة المحرمة، والبعد عن مثيرات الشهوة، وحفظ الخواطر، وصحبة الصالحين، وكثرة الدعاء، واستعمال الوسائل المشروعة التي تكف النفس عن الحرام.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩)، ومسلم برقم (١٠٥٣).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم توجيهه للشباب إلى طريق العفة المشروع؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٦)، ومسلم برقم (١٤٠٠).

فهذه وصية نبوية جامعة؛ إذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم الشباب أمام سلطان الشهوة بلا علاج، بل دلَّ القادر على الزواج، ودلَّ العاجز على الصوم، ليبقى القلب عفيفًا، والبصر محفوظًا، والفرج مصونًا، والطريق إلى الحلال مفتوحًا بلا سقوط في الحرام.

ومن كلام أهل العلم في حُسن العفة قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣]: «هذا حكم العاجز عن النكاح، أمره الله أن يستعفف، أن يكف عن المحرم، ويفعل الأسباب التي تكفه عنه، من صرف دواعي قلبه بالأفكار التي تخطر بإيقاعه فيه». تفسير السعدي (ص: ٥٦٧).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «حتى يغنيهم الله من فضله وعد للمستعفف أن الله سيغنيه وييسر له أمره، وأمر له بانتظار الفرج، لئلا يشق عليه ما هو فيه». تفسير السعدي (ص: ٥٦٧).

وهذا يبين أن العفة طريقها الصبر والعمل بالأسباب، وأن من صدق في الاستعفاف أعانه الله، ويسر له من فضله، وفتح له أبواب الفرج في الوقت الذي يعلمه سبحانه.

من ثمرات حُسن التخلق بالعفة

١. العفة تحفظ القلب والجوارح من الحرام.

٢. العفة تصون المروءة والكرامة.

٣. العفة سبب للعون والفرج.

فإذا سمت النفس بالعفة، تباعدت عن الفجور، وصارت مراقبة الله سياجًا يحفظها من أسر الشهوة.

ثانيًا: قُبح الفجور

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

هذه الآية الكريمة لم تنه عن الزنا وحده، بل نهت عن قربانه؛ لأن الفجور يبدأ غالبًا بمقدمات يستهين بها صاحبها، ثم تجره إلى الفاحشة. فالنظرة المحرمة، والخلوة، والكلام المريب، والتساهل في وسائل الفتنة، كلها أبواب ينبغي إغلاقها قبل أن تقود إلى ما لا تحمد عقباه.

والتدبر العملي في الآية أن من رحمة الله بالعبد أن نهاه عن الطريق كله، لا عن نهايته فقط؛ لأن من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه. فمن أراد السلامة فليغلق منافذ الفتنة مبكرًا، ولا يختبر ثباتَهُ عند أبوابِ الفجور، فإن القلبَ ضعيفٌ، والشيطانَ خبيرٌ بمداخل النفوس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٤٧٥)، ومسلم برقم (٥٧).

وهذا الحديث وعيد شديد، يدل على أن الفاحشة تنقص الإيمان نقصًا عظيمًا، وتُظلم القلب، وتقطع عن صاحبها نورَ الحياء والطاعةِ حال وقوعه فيها، فلا يستهين المؤمن بمقدماتها، ولا يغتر بستر الله عليه.

ومن لطيف ما قيل في قُبح الفجور قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢]: «والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه». تفسير السعدي (ص: ٤٥٧).

وقال رحمه الله أيضًا: «ووصف الله الزنى وقبحه بأنه ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أي: إثمًا يستفحش في الشرع والعقل والفطر؛ لتضمنه التجري على الحرمة في حق الله وحق المرأة وحق أهلها أو زوجها وإفساد الفراش واختلاط الأنساب وغير ذلك من المفاسد». تفسير السعدي (ص: ٤٥٧).

وفي هذا بيان أن الفجور ليس ذنبًا خاصًّا بصاحبه وحدَهُ، بل له آثار في الدين، والقلب، والأسرة، والمجتمع، والأنساب، والثقة، والسِّتر، ولذلك جاء الشرع بسد طرقه ومقدماته.

بعض الآثار لقُبح الفجور

١. الفجور يضعف الإيمان ويظلم القلب.

٢. الفجور يهتك الستر ويفسد المروءة.

٣. الفجور يفتح أبواب الندم والفضيحة.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. غض بصرك عن الحرام.

٢. احفظ فرجك وسمعتك.

٣. اترك مقدمات الفتنة.

صور مرفوضة في الواقع

١. التساهل في الخلوة المحرمة.

٢. تتبع الصور المثيرة.

٣. فتح أحاديث الشهوة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالعِفَّةِ وَالحَيَاءِ وَالطَّهَارَةِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الفُجُورِ وَالفَوَاحِشِ وَمُقَدِّمَاتِ الحَرَامِ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبْصَارَنَا مِنَ الخِيَانَةِ، وَأَلْسِنَتَنَا مِنَ الفُحْشِ، وَقُلُوبَنَا مِنَ التَّعَلُّقِ بِالحَرَامِ، وَفُرُوجَنَا مِنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُكَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا عِفَّةً تُزَكِّي نُفُوسَنَا، وَحَيَاءً يَحْجُبُنَا عَنِ المَعَاصِي، وَصَبْرًا عَلَى أَبْوَابِ الحَلَالِ، وَفَرَجًا مِنْ عِنْدِكَ يُغْنِينَا عَنْ كُلِّ حَرَامٍ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ فِتَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمِنْ خَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَمِنْ قَلْبٍ يَسْتَحْلِي القَبِيحَ، وَمِنْ نَفْسٍ تَسْتَثْقِلُ الطَّهَارَةَ وَالعَفَافَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٧. حسن الحياء في النظر وقبح إطلاق البصر

الحَمْدُ للهِ القُدُّوسِ، الحَيِيِّ السِّتِّيرِ، الَّذِي خَلَقَ العَيْنَ لِتَنْظُرَ في آيَاتِهِ، وَتَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى عَظَمَتِهِ، وَأَمَرَ عِبَادَهُ بِغَضِّ الأَبْصَارِ، وَحِفْظِ الفُرُوجِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ خِيَانَةِ الأَعْيُنِ وَمَسَالِكِ الفِتَنِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ المُرَاقِبِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا حَيِيًّا، وَبَصَرًا مَحْفُوظًا، وَنَفْسًا تَسْتَحْيِي مِنْ نَظَرِهِ وَاطِّلَاعِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ طَرْفُ عَيْنٍ، وَلا خَطْرَةُ قَلْبٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَطْهَرُ النَّاسِ بَصَرًا، وَأَحْيَاهُمْ قَلْبًا، وَأَحْفَظُهُمْ لِحُدُودِ اللهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الطهارة، إنَّ الحياءَ في النظر حراسةٌ للقلب قبل العين، وصيانةٌ للروح قبل الجسد؛ فالعين بابٌ إلى القلب، وما دخل منها من طهرٍ زكّى النفس، وما دخل منها من فتنةٍ أضعف الحياء وأوقد الشهوة. وليس غض البصر حرمانًا من جمال الحلال، ولا إغلاقًا لباب التأمل في خلق الله، ولكنه أدبٌ مع الله، وحفظٌ للنفس، وكفٌّ عن النظر إلى ما لا يحل. واحذر إطلاق البصر؛ فإنه يبدأ بلحظة عابرة، ثم يترك في القلب أثرًا، وقد يجر إلى خواطر، ثم شهوات، ثم خطوات يندم عليها صاحبها.

أولًا: حُسن الحياء في النظر

قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

هذه الآية الكريمة تجعل غضَ البصر من أخلاق المؤمنين، وتربط بين العين والفرج؛ لأن البصر بريد القلب، ومقدمة من مقدمات السلامة أو الفتنة، فمن استحيا من الله في نظره حفظ الله قلبَهُ، ومن كف عينَهُ عن الحرام زكى الله نفسَهُ، فإن الله خبير بما يصنع العبد في خلوته وجلوته.

والتَّدبر العملي في الآية أن الحياء في النظر عبادة خفية لا يطلع على حقيقتها إلا الله؛ فقد يكون الإنسان وحده، وتعرض له صورة محرمة أو منظر فاتن، فيغض بصره حياءً من ربه، وهنا يظهر صدق الإيمان؛ لأن المؤمن لا يراقب الناس وحدهم، بل يراقب من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الطريق: «فَإِنْ كُنْتُمْ لا بُدَّ فَاعِلِينَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ». أخرجه البخاري برقم(٦٢٢٩) «واللفظ له»، ومسلم برقم(٢١٢١).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن الفضل بن عباس رضي الله عنهما كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه، «فَجَعَلَ الفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْرِفُ وَجْهَ الفَضْلِ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ» أخرجه البخاري برقم(١٥١٣)، ومسلم برقم(١٣٣٤).

فهذه صورة نبوية عملية في تربية النظر؛ إذ لم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بالموعظة العامة، بل صرف وجه الفضل رضي الله عنه حين وقع النظر، فدل ذلك على أن **علاج الفتنة يكون مبكرًا**، وأن كرامة القلب تحفظ بإبعاد العين عن موضع الافتتان.

ويكشف هذا المعنى في حُسن غض البصر قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]: «عن النظر إلى العورات وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المردان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور». تفسير السعدي (ص: ٥٦٦) .

وقال رحمه الله في بيان ثمرة الحفظ: «ذلك الحفظ للأبصار والفروج أزكى لهم وأطهر وأطيب، وأنمى لأعمالهم، فإن من حفظ فرجه وبصره، طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفواحش». تفسير السعدي (ص: ٥٦٦) .

وهذا يبين أن غض البصر ليس مجرد ترك صورة محرمة، بل هو تزكية للنفس، وطهارة للقلب، وحفظ للأعمال من أسباب الضعف والفساد.

من ثمرات حُسن التخلق بالحياء في النظر

١. الحياء في النظر يزكي القلب.

٢. الحياء في النظر يحفظ الفرج.

٣. الحياء في النظر يقوي مراقبة الله.

وكلما عُمِّر قلب العبد بمراقبة الله، انكفّ البصر عمَّا لا يحل له، وسلمت النفس من مداخل الفتنة وأسر الصور.

ثانيًا: قُبح إطلاق البصر

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

هذه الآية الكريمة تهز القلب من الغفلة؛ فالله يعلم خيانة العين حين تختلس النظر إلى الحرام، ويعلم ما يخفيه الصدر من ميل وشهوة وتعلق. فإطلاق البصر ليس أمرًا صغيرًا إذا صار بابًا إلى الفتنة، ولا تخفى النظرة الخائنة على من يعلم السر وأخفى.

والتدبر العملي في الآية أن المسلم لا يقيس خطر النظرة بقصر زمنها، بل بما تتركه في القلب من أثر، فرب نظرة خاطفة أشعلت شهوة، ورب إطلاق بصر جر إلى مقارنة محرمة، أو تعلق فاسد، أو رغبة لا يقدر صاحبها عليها ولا يصبر عنها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ؛ فَالعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ**». أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٧) .

وهذا الحديث يبين خطورة النظر المحرم؛ فسماه النبي صلى الله عليه وسلم زنا العين، لأنه مقدمة من مقدمات الفاحشة، وباب من أبواب ضعف القلب، وإن لم يبلغ صاحبه الفعل الأكبر. فمن استهان بالنظر فقد فتح على قلبه بابًا يحتاج إلى مجاهدة طويلة لإغلاقه.

ومن لطيف ما قيل في قُبح إطلاق البصر قول ابن القيم رحمه الله: «والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فالنظرة تولد خطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولابد، ما لم يمنع منه مانع». الداء والدواء، ابن القيم، ط دار المعرفة، (ص: ١٥٣) .

وقال رحمه الله أيضًا: «وإطلاق البصر يشتته عن ذلك [أي: عن إصلاح القلب]، ويحول بينه وبينه، فينفرط عليه أموره، ويقع في اتباع هواه وفي الغفلة عن ذكر ربه». الداء والدواء = الجواب الكافي، ابن القيم، ط عطاءات العلم، (ص: ٤٢١) .

وهذا يبين أن إطلاق البصر لا يضر العين وحدها، بل يشتت القلب، ويضعف الذكر، ويجر إلى اتباع الهوى؛ ولذلك كان غض البصر حراسة مبكرة من بلاء متأخر.

بعض الآثار لقُبح إطلاق البصر

١. إطلاق البصر يضعف الحياء.

٢. إطلاق البصر يثير الشهوة.

٣. إطلاق البصر يشتت القلب.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. اصرف عينك عند الفتنة.

٢. احذف مثيرات النظر فورًا.

٣. راقب الله في خلواتك.

صور مرفوضة في الواقع

١. تتبع صور المحرمات.

٢. إطالة النظر للأجنبيات.

٣. فتح المقاطع المثيرة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالحَيَاءِ في النَّظَرِ، وَغَضِّ البَصَرِ، وَمُرَاقَبَتِكَ في السِّرِّ وَالعَلَنِ، وَطَهِّرْنَا مِنْ إِطْلَاقِ البَصَرِ، وَخِيَانَةِ الأَعْيُنِ، وَالتَّطَلُّعِ إِلَى مَا لا يَحِلُّ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبْصَارَنَا مِنَ الحَرَامِ، وَقُلُوبَنَا مِنَ التَّعَلُّقِ بِالفِتَنِ، وَجَوَارِحَنَا مِنْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، وَاجْعَلْ أَعْيُنَنَا نَاظِرَةً في آيَاتِكَ، بَاكِيَةً مِنْ خَشْيَتِكَ، مَصْرُوفَةً عَمَّا يُغْضِبُكَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حَيَاءً يَمْنَعُنَا مِنَ النَّظْرَةِ الخَائِنَةِ، وَإِيمَانًا يُقَوِّي عَزِيمَتَنَا عِنْدَ الفِتْنَةِ، وَبَصِيرَةً نُدْرِكُ بِهَا أَنَّ سَلامَةَ القَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ لَذَّةِ لَحْظَةٍ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ عَيْنٍ لا تَغُضُّ عَنِ الحَرَامِ، وَقَلْبٍ يَتْبَعُ الهَوَى، وَنَفْسٍ تَسْتَحْلِي الفِتْنَةَ، وَخَلْوَةٍ نَنْسَى فِيهَا اطِّلَاعَكَ عَلَيْنَا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٨. حسن حفظ اللسان وقبح الغيبة

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الخَبِيرِ، السَّمِيعِ البَصِيرِ، الَّذِي أَحْصَى عَلَى العِبَادِ أَقْوَالَهُمْ، وَكَتَبَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِحِفْظِ الأَلْسِنَةِ، وَصَوْنِ المَجَالِسِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالفُحْشِ وَالبُهْتَانِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الذَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ لِسَانًا صَادِقًا، وَقَلْبًا نَقِيًّا، وَمَنْطِقًا سَدِيدًا يُرْضِيهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، مَا يَلْفِظُ العَبْدُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ، وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ سِرُّ النُّطْقِ وَلا خَفِيُّ الهَمْسِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَصْدَقُ النَّاسِ لِسَانًا، وَأَطْهَرُهُمْ مَنْطِقًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الفُحْشِ وَالأَذَى، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ النجاة، إنَّ اللسانَ مفتاحُ خيرٍ أو بابُ شرٍّ؛ بكلمةٍ يرفع الله العبد، وبكلمةٍ يزلُّ في مهاوي الندم. وحفظ اللسان ليس صمتًا عن الحق، ولا جبنًا عن النصيحة، ولكنه وزنٌ للكلام قبل إخراجه، وكفٌّ لما لا يحل، ونطقٌ بما ينفع.

واحذر الغيبة؛ فإنها تأكل حسنات المجالس، وتقطع أواصر الأخوة، وتُلبس صاحبها ثوب الظلم، فيذكر أخاه بما يكره وهو غائب لا يملك دفاعًا عن نفسه.

أولًا: حُسن حفظ اللسان

قال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]

هذه الآية الكريمة تجعل المؤمن يراقب كلماته قبل أن تخرج من فمه؛ فكل لفظ محفوظ، وكل كلمة مكتوبة، واللسان وإن كان صغيرًا في الجارحة، عظيمٌ في الأثر والحساب. فمن علم أن عليه رقيبًا عتيدًا استحيا أن يملأ صحيفته بلغو أو أذى أو باطل.

والتدبر العملي في الآية أن المسلم لا يتكلم كأن كلامه يذهب في الهواء، بل يتكلم وهو يعلم أن كلماته ستعرض عليه يوم القيامة. لذلك يراجع قصده، وينظر في ثمرة كلامه، فإن خيرًا قاله، وإن شرًّا أو لغوًا أمسك عنه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٧).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما أوصى به معاذ بن جبل رضي الله عنه حين قال له: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟». أخرجه الترمذي برقم (٢٦١٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

فهذه وصية نبوية عظيمة في خطورة اللسان؛ إذ بيَّن صلى الله عليه وسلم أن الكلام له حصائد، وأن الإنسان قد يحصد من لسانه خيرًا أو شرًّا، فالعاقل يجعل لسانه تابعًا لقلبه وعقله، لا يرسله مع كل خاطر، ولا يطلقه في كل مجلس.

ويكشف هذا المعنى في حُسن حفظ اللسان قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «لسان العاقل يكون وراء قلبه فإذا أراد القول رجع إلى القلب فإن كان له قال وإلا فلا والجاهل قلبه في طرف لسانه ما أتى على لسانه تكلم به وما عقل دينه من لم يحفظ لسانه». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٤٧).

وهذا يبين أن حفظ اللسان علامة عقل ودين؛ فالعاقل لا يجعل فمه أسرع من قلبه، ولا يطلق الكلام قبل وزن عاقبته؛ لأن الكلمة إذا خرجت ملكت صاحبها، وإن حبسها بقي مالكًا لها.

من ثمرات حُسن التخلق بحفظ اللسان

١. حفظ اللسان يحفظ الدين والمروءة.

٢. حفظ اللسان يقي من الندم.

٣. حفظ اللسان يطهر المجالس.

ومتى انضبط اللسان بتقوى الله، انقطعت عنه مادة الغيبة، وصار الكلام بابًا للحسنات لا معبرًا إلى السيئات.

ثانيًا: قُبح الغيبة

قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]

هذه الآية الكريمة صوَّرت الغيبة في أبشع صورة؛ فالمغتاب كمن يأكل لحم أخيه ميتًا، والميت لا يستطيع أن يدفع عن نفسه، وكذلك الغائب لا يملك أن يرد عن عرضه. فمن استقبح أكل لحم الميت فليستقبح تمزيق عرض أخيه في المجالس.

والتدبر العملي في الآية أن الغيبة ليست حديثًا عابرًا للتسلية، بل اعتداء على حرمة المسلم، وأكل معنوي من عرضه وكرامته. ولذلك ختمت الآية بالتقوى والتوبة؛ لأن علاج الغيبة يبدأ بخوف الله، وينتهي بتوبة صادقة وردٍّ للحق أو استحلالٍ عند القدرة والمصلحة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينًا حقيقة الغيبة: «أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟». **قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:** «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». **قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال:** «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ». أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩).

وهذا الحديث يقطع عذرًا يتكرر على ألسنة الناس؛ إذ يقول بعضهم: أنا لا أكذب، بل أقول ما فيه. فبيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن ذكر العيب الموجود في الغائب هو الغيبة، أما ذكر ما ليس فيه فهو بهتان أعظم.

ومن كلام أهل العلم في قُبح الغيبة قول النووي رحمه الله: «فأما الغيبة: فهي ذكرك الإنسان بما فيه مما يكره». الأذكار، النووي، تحقيق الأرنؤوط، (ص: ٣٣٦).

وقال النووي رحمه الله في تحريم سماع الغيبة وإقرارها: «اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها، يحرم على السامع استماعها وإقرارها فيجب على من سمع إنسانًا يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه إن لم يخف ضررًا ظاهرًا». الأذكار، النووي، تحقيق الأرنؤوط، (ص: ٣٣٩).

وفي هذا بيان أن الغيبة لا تتعلق بالمتكلم وحده، بل بالمجلس كله؛ فالمستمع المقر شريك في الإثم، ومن سمع الغيبة فليدفعها أو يغير الحديث أو يفارق المجلس إذا استطاع، حتى لا يكون مجلسه موضع أكل لأعراض المسلمين، ويدخل في مفارقة المجلس مغادرة مجموعات التواصل الاجتماعي من واتس وغيره التي هي مرتعٌ للغيبة والبهتان والتجسس.

بعض الآثار لقُبح الغيبة

١. الغيبة تأكل حسنات صاحبها.

٢. الغيبة تفسد الأخوة والثقة.

٣. الغيبة تجعل المجلس مجلس إثم.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. قل خيرًا أو اصمت.

٢. ادفع الغيبة عن الغائب.

٣. غيّر حديث المجلس الآثم

صور مرفوضة في الواقع

١. ذكر عيوب الغائبين.

٢. الاستماع للغيبة برضا.

٣. نشر المقاطع الفاضحة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِحِفْظِ اللِّسَانِ، وَصِدْقِ المَنْطِقِ، وَطِيبِ الكَلامِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالبُهْتَانِ وَالفُحْشِ وَكُلِّ قَوْلٍ يُغْضِبُكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا ذَاكِرَةً شَاكِرَةً، نَاطِقَةً بِالحَقِّ، صَامِتَةً عَنِ البَاطِلِ، نَاصِحَةً لِعِبَادِكَ، كَافَّةً عَنْ أَعْرَاضِهِمْ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ مَجَالِسَنَا مِنْ أَكْلِ لُحُومِ النَّاسِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَذُبُّونَ عَنْ أَعْرَاضِ إِخْوَانِهِمْ، وَيَسْتُرُونَ عُيُوبَهُمْ، وَيُحِبُّونَ لَهُمُ الخَيْرَ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ لِسَانٍ يَجْرَحُ، وَقَلْبٍ يَفْرَحُ بِعَيْبِ المُسْلِمِ، وَمَجْلِسٍ يُغْضِبُكَ، وَكَلِمَةٍ نَنْدَمُ عَلَيْهَا يَوْمَ نَلْقَاكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

١٩. حسن الإصلاح وقبح الإفساد

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الحَكِيمِ، اللَّطِيفِ الخَبِيرِ، الَّذِي أَمَرَ عِبَادَهُ بِالإِصْلَاحِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى جَمْعِ الكَلِمَةِ، وَرَأْبِ الصَّدْعِ، وَإِطْفَاءِ الفِتَنِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الإِفْسَادِ، وَالتَّفْرِيقِ، وَإِثَارَةِ الخُصُومَاتِ، وَتَقْطِيعِ الأَوَاصِرِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ المُصْلِحِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا صَالِحًا، وَعَمَلًا مُصْلِحًا، وَلِسَانًا يَجْمَعُ وَلا يُفَرِّقُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُحِبُّ الصَّلَاحَ وَالمُصْلِحِينَ، وَلا يُحِبُّ الفَسَادَ وَالمُفْسِدِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَعْظَمُ النَّاسِ إِصْلَاحًا، وَأَحْرَصُهُمْ عَلَى جَمْعِ القُلُوبِ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ مَسَالِكِ الفِتْنَةِ وَالفَسَادِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الخير، إنَّ الإصلاحَ من أعظم أبواب القربات؛ به تُحفظ الأخوة، وتُطفأ نار الخصومة، وتلتئم القلوب بعد شقاقها، وتعود الحقوق إلى أهلها، ويُغلق باب الشيطان بين الناس. وليس الإصلاح مجاملةً على حساب الحق، ولا سترًا للظلم، ولكنه سعيٌ حكيمٌ لإزالة الشر وجلب الخير بالعدل والرحمة.

واحذر الإفساد؛ فإنه يبدأ بكلمةٍ مهيجة، أو نميمةٍ منقولة، أو ظلمٍ صغير، ثم يكبر حتى يقطع الأرحام، ويفرق الجماعات، ويهدم الثقة، ويجعل صاحبه مفتاحًا للشر مغلاقًا للخير.

أولًا: حُسن الإصلاح

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

هذه الآية الكريمة ترفع منزلة الإصلاح بين الناس، وتجعله من النجوى المباركة التي يحبها الله، حين يكون القصد ابتغاء مرضاته. فكثير من كلام الناس لا خير فيه، إلا ما كان دعوةً إلى صدقة، أو معروف، أو إصلاحٍ يزيل الخصومة ويجمع القلوب.

والتدبر العملي في الآية أن المصلح لا يتحرك طلبًا للظهور، ولا رغبةً في السيطرة على الأطراف، بل يبتغي مرضاة الله، فيزن كلامه، ويحفظ الأسرار، ويقرب وجهات النظر، ويعين كل طرف على العدل والإنصاف، حتى يخرج الناس من مرارة النزاع إلى سكينة الصلح.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٠٥).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه: «أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ». أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٣).

فهذه صورة نبوية عظيمة في المبادرة إلى الإصلاح؛ إذ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم الخصومة تكبر، ولا القلوب تزداد غلًّا، بل بادر بنفسه إلى جمع الكلمة، وفي ذلك تعليم للأمة أن المصلح لا ينتظر حتى تشتعل الفتنة، بل يسعى لإطفائها في بداياتها.

ومن لطيف ما قيل في حُسن الإصلاح قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤]: «والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان». تفسير السعدي (ص: ٢٠٢).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، والمصلح لابد أن يصلح الله سعيه وعمله». تفسير السعدي (ص: ٢٠٢).

وهذا يبين أن الإصلاح عبادة عظيمة، وأن أثرها يتعدى صاحبها إلى الأسر والمجتمعات، وأن الله يصلح سعي من قصد وجهه وسلك سبيل الحكمة والعدل.

من ثمرات حُسن التخلق بالإصلاح

١. الإصلاح يجمع القلوب بعد فرقتها.

٢. الإصلاح يطفئ نار الخصومة.

٣. الإصلاح يفتح أبواب الأجر العظيم.

وكلما صَدَقت نية الإصلاح من المؤمن، انسدَّت مسالكُ الإفساد، واجتهد في جمع القلوب لا في تفريقها.

ثانيًا: قُبح الإفساد

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

هذه الآية الكريمة تكشف قبح الإفساد؛ فالمفسد قد يُحَسِّن الكلام ويُجَمل العبارة، لكن حقيقته تظهر في العمل: يسعى في الأرض بما يضر الناس، ويفسد الدين والدنيا، ويهلك المصالح، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل. والله تعالى لا يحب الفساد، ولا يحب من جعله طريقًا وسلوكًا.

والتدبر العملي في الآية أن العبرة ليست بدعوى الإصلاح ولا بزينة الكلام، بل بحقيقة الأثر: **هل جمع أو فرَّق؟ هل أصلح أو أفسد؟ هل حفظ الحقوق أو ضيعها؟** فكم من كلمة قيلت باسم النصيحة وهي فساد، وكم من موقف اتخذ باسم الغيرة وهو ظلم وعدوان.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا مما يفسد ذات البين: «**لا تَبَاغَضُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**». أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٥٩).

وهذا الحديث ينهى عن أخلاق تهدم العلاقات، وتفسد الأخوة، وتزرع العداوة في القلوب؛ فالبغضاء والحسد والتدابر ليست مشاعر عابرة إذا استسلم لها الإنسان، بل مفاتيح إفسادٍ تقطع روابط المجتمع، وتبدل الأخوة خصومة.

ويكشف هذا المعنى في قُبح الإفساد قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٢٠٥]: «أي: يجتهد على أعمال المعاصي، التي هي إفساد في الأرض». تفسير السعدي (ص: ٩٣).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض، غاية البغض، وإن قال بلسانه قولًا حسنًا، ففي هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلًا على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكّي لها». تفسير السعدي (ص: ٩٣).

وفي هذا بيان أن الإفساد لا يزول قبحه بحسن العبارة، ولا يصير صلاحًا بمجرد الدعوى؛ فالميزان هو طاعة الله، وحفظ الحقوق، وجلب المصالح، ودفع المفاسد.

بعض الآثار لقُبح الإفساد

١. الإفساد يقطع روابط الأخوة.

٢. الإفساد يهدم الثقة بين الناس.

٣. الإفساد يجلب البغضاء والخصومة.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. أصلح بين المتخاصمين بحكمة.

٢. احفظ أسرار مجالس الصلح.

٣. قرّب القلوب بكلمة طيبة.

صور مرفوضة في الواقع

١. نقل الكلام بين المتخاصمين.

٢. تأجيج الخلاف في المجالس.

٣. تزيين الظلم باسم النصيحة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالإِصْلَاحِ، وَجَمْعِ الكَلِمَةِ، وَرَأْبِ الصَّدْعِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الإِفْسَادِ، وَالتَّفْرِيقِ، وَتَأْجِيجِ الخُصُومَاتِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، نَسْعَى فِي جَمْعِ القُلُوبِ، وَإِطْفَاءِ الفِتَنِ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ البَيْنِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حِكْمَةً فِي النُّصْحِ، وَعَدْلًا فِي الحُكْمِ، وَرِفْقًا فِي الإِصْلَاحِ، وَصِدْقًا فِي القَصْدِ، وَاحْفَظْ أَلْسِنَتَنَا مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ تُفَرِّقُ بَيْنَ عِبَادِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ يُحِبُّ الفِتْنَةَ، وَلِسَانٍ يُوقِدُ الخُصُومَةَ، وَسَعْيٍ يُفْسِدُ فِي الأَرْضِ، وَعَمَلٍ لا تُحِبُّهُ وَلا تَرْضَاهُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢٠. حسن النصيحة وقبح الغش

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الخَبِيرِ، اللَّطِيفِ البَصِيرِ، الَّذِي أَمَرَ بِالنُّصْحِ وَالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، وَحَذَّرَ مِنَ الغِشِّ وَالخِيَانَةِ وَالخِدَاعِ، وَجَعَلَ الدِّينَ قَائِمًا عَلَى إِخْلَاصِ القَلْبِ، وَصِدْقِ القَوْلِ، وَصَلَاحِ العَمَلِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا نَاصِحًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَعَمَلًا خَالِصًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيُحِبُّ الصَّادِقِينَ النَّاصِحِينَ، وَيُبْغِضُ الغَاشِّينَ المُخَادِعِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَصْدَقُ النَّاسِ نُصْحًا، وَأَعْظَمُهُمْ أَمَانَةً، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الغِشِّ وَالخِيَانَةِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ النقاء، إنَّ النصيحة خُلُقٌ عظيم، به تُحفظ القلوب، وتَصلح العلاقات، وتقوم الأمانات، ويأمن الناس بعضهم بعضًا. وليست النصيحة فضيحة، ولا تعاليًا، ولا تشهيرًا، بل هي إرادة الخير للمنصوح، وبذل الرأي الصادق، وإرشاد المخطئ برفق، وحفظ حق المسلم في غيبته وحضوره.

واحذر الغش؛ فإنه ظلمة في القلب، وخيانة في المعاملة، وهدم للثقة، وإفساد للدين والدنيا؛ فالغاش قد يربح مالًا أو موقفًا، لكنه يخسر صدقه، وأمانته، وبركة ما في يده.

أولًا: حُسن النصيحة

قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]

هذه الآية الكريمة جعلت التواصي بالحق والتواصي بالصبر من صفات الناجين من الخسران؛ لأن المؤمن لا يكتفي بصلاح نفسه، بل يحب الخير لإخوانه، فيوصيهم بالحق، ويثبتهم على الصبر، ويعينهم على الطاعة، وينصح لهم بما يرضي الله.

والتدبر العملي في الآية أن النصيحة ليست تدخلًا مذمومًا إذا صدرت عن رحمة وحكمة، بل هي صورة من صور الأخوة الصادقة؛ فالمؤمن مرآة أخيه، يدله على الخير، ويحذره من الشر، ويأخذ بيده إلى الصواب، لا طلبًا للعلو عليه، بل شفقةً عليه وابتغاءً لوجه الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». **قلنا: لمن؟ قال: «لِلهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**». أخرجه مسلم برقم (٥٥).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يربي أصحابه على النصيحة العامة للمسلمين، ومن ذلك ما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «**بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**». أخرجه البخاري برقم (٥٧)، ومسلم برقم (٥٦).

فهذه بيعة عظيمة تجعل النصيحة لكل مسلم من معالم الدين العملية؛ فلا يكون المسلم غاشًا لأخيه، ولا ساكتًا عن خير يستطيع بيانه، ولا متربصًا بزلته، بل يكون ناصحًا أمينًا، يحب له الخير، ويدله عليه بالرفق والحكمة.

ومن كلام أهل العلم في حُسن النصيحة قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «النصيحة محاطة بالتهمة وليست النصيحة إلا لمن قبلها كما أن الدنيا ليست إلا لمن تركها ولا الآخرة إلا لمن طلبها وليس على كل ذي نصح إلا الجهد». روضة العقلاء، لابن حبان (ص: ١٩٦).

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «النصيحة تجب على الناس كافة على مَا ذكرنا قبل ولكن إبداؤها لا يجب إلا سرا لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ومن وعظه سرا فقد زانه». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٩٦).

وهذا يبين أن النصيحة تحتاج إلى إخلاص وحكمة وستر، وأن الناصح الصادق لا يقصد إظهار عيب أخيه، بل يقصد زينته وإصلاحه، ولذلك كانت النصيحة في السر أقرب للقبول، وأبعد عن التشهير وإثارة النفوس.

من ثمرات حُسن التخلق بالنصيحة

١. النصيحة تحفظ أخوة المسلمين.

٢. النصيحة تعين على قبول الحق.

٣. النصيحة تمنع انتشار الأخطاء.

وحين يخلص القلب بالنصيحة، يبرأ من داء الغش، ويحب للناس من الخير ما يحب لنفسه.

ثانيًا: قُبح الغش

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]

هذه الآية الكريمة افتتحت بالوعيد الشديد للمطففين، وهم الذين يأخذون حقوقهم كاملة، وينقصون حقوق الناس إذا أعطوهم. والتطفيف صورة من صور الغش؛ لأنه إظهار للوفاء مع إخفاء للنقص، وخيانة في الميزان والمعاملة.

والتدبر العملي في الآية أن الغش لا يقتصر على البيع والشراء، بل يدخل في كل أمانة يلبّس فيها الإنسان على غيره: في التعليم، والوظيفة، والصناعة، والكتابة، والشهادة، والاستشارة، والعلاقات. فمن أخفى العيب، أو زيّن الباطل، أو أظهر الشيء على خلاف حقيقته، فقد وقع في باب من أبواب الغش.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». أخرجه مسلم برقم(١٠٢).

ومن البيان النبوي العملي لقُبح الغش ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال: «مَا

هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي». أخرجه مسلم برقم (١٠٢) .

فهذه صورة عملية ظاهرة في إنكار النبي صلى الله عليه وسلم للغش، إذ لم يرض بإخفاء البلل في أسفل الطعام، ولو كان أصله بسبب المطر؛ لأن الواجب أن يظهر العيب للمشتري، وأن تكون المعاملة على بيان وصدق لا على إخفاء وخداع.

ومن لطيف ما قيل في قُبح الغش قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: «﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، ووعيد ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾». تفسير السعدي (ص: ٩١٥) .

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٣]: «أي: إذا أعطوا الناس حقهم، الذي للناس عليهم بكيل أو وزن، ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي: ينقصونهم ذلك، إما بمكيال وميزان ناقصين، أو بعدم ملء المكيال والميزان، أو نحو ذلك. فهذا سرقة [لأموال] الناس، وعدم إنصاف [لهم] منهم». تفسير السعدي (ص: ٩١٥) .

وفي هذا بيان أن الغش ظلم وخيانة وسرقة معنوية أو حسية لحقوق الناس، وأنه يناقض الإيمان الكامل والأمانة والنصح، ويهدم الثقة بين الناس، ويجر صاحبه إلى الوعيد إن لم يتب إلى الله.

بعض الآثار لقُبح الغش

١. الغش يذهب بركة الكسب.

٢. الغش يهدم الثقة بين الناس.

٣. الغش يوقع صاحبه في الوعيد.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. انصح أخاك سرًّا.

٢. بيّن العيب قبل البيع.

٣. أخلص في رأيك واستشارتك.

صور مرفوضة في الواقع

١. التشهير باسم النصيحة.

٢. إخفاء العيب عن المشتري.

٣. تزيين الباطل للناس.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالنَّصِيحَةِ الصَّادِقَةِ، وَالأَمَانَةِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَحُبِّ الخَيْرِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الغِشِّ وَالخِدَاعِ وَالخِيَانَةِ وَتَلْبِيسِ الحَقَائِقِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا نَاصِحَةً، وَقُلُوبَنَا مُخْلِصَةً، وَمُعَامَلَاتِنَا صَادِقَةً، وَاسْتِشَارَاتِنَا أَمِينَةً، وَأَعْمَالَنَا خَالِصَةً لِوَجْهِكَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حِكْمَةَ النُّصْحِ، وَرِفْقَ البَيَانِ، وَسِتْرَ العُيُوبِ، وَالصِّدْقَ في البَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالقَوْلِ وَالعَمَلِ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ غَاشٍّ، وَلِسَانٍ مُخَادِعٍ، وَيَدٍ خَائِنَةٍ، وَمُعَامَلَةٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى الغِشِّ وَالتَّدْلِيسِ وَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالبَاطِلِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢١. حسن سلامة الصدر وقبح الحسد

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الخَبِيرِ، اللَّطِيفِ الرَّحِيمِ، الَّذِي يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَيُطَهِّرُ قُلُوبَ مَنْ شَاءَ مِنَ الغِلِّ وَالحِقْدِ وَالحَسَدِ، وَيُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ صَفَاءَ القُلُوبِ، وَسَلَامَةَ الصُّدُورِ، وَحُسْنَ الظَّنِّ بِالمُؤْمِنِينَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ المُخْلِصِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا سَلِيمًا، وَصَدْرًا نَقِيًّا، وَنَفْسًا تُحِبُّ الخَيْرَ لِعِبَادِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَهْدِي القُلُوبَ إِلَى طَهَارَتِهَا، وَيَصْرِفُ عَنْهَا أَدْوَاءَهَا، وَلا يَنْفَعُ يَوْمَ لِقَائِهِ إِلَّا مَنْ أَتَاهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَطْهَرُ النَّاسِ قَلْبًا، وَأَسْلَمُهُمْ صَدْرًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الحِقْدِ وَالحَسَدِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الصفاء، إنَّ سلامةَ الصدر راحةٌ في الدنيا، ورفعةٌ في الدين، وسِرٌّ من أسرار الأخوة الصادقة؛ بها ينام المؤمن وليس في قلبه غلٌّ على مسلم، ولا حسدٌ لذي نعمة، ولا شماتةٌ بمبتلى. وليست سلامة الصدر غفلةً عن الظلم، ولا تركًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنها طهارة القلب من إرادة الشر، مع القيام بالحق والعدل. واحذر الحسد؛ فإنه نارٌ في القلب، يأكل طمأنينة صاحبه قبل أن يضر المحسود، ويجعل العبد ساخطًا على قسمة الله، متتبعًا لنعم الناس بدل شكر نعم الله عليه.

أولًا: حُسن سلامة الصدر

قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

هذه الآية الكريمة تصور نعيمًا عظيمًا من نعيم أهل الجنة؛ لا يقتصر على الطعام والشراب والقصور، بل يشمل طهارة القلوب ونزع الغل من الصدور، حتى يكونوا إخوانًا متقابلين، لا حقد بينهم، ولا حسد، ولا تباغض، ولا تنافر.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن يسعى في الدنيا إلى خلقٍ هو من نعيم أهل الجنة؛ فينزع من قلبه الغل، ويجاهد حسده، ويحب الخير للمؤمنين، ويسأل الله قلبًا سليمًا؛ لأن القلب إذا سلم من أدوائه استراح صاحبه، وحسنت علاقته بربه وبعباد الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما روته عائشة رضي الله عنها قالت: «**وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا**». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦١٢٦)، ومسلم برقم (٢٣٢٧).

فهذه صورة عظيمة من سلامة صدره صلى الله عليه وسلم؛ لم يكن يحمل الحقد لنفسه، ولا ينتصر لغضب شخصي، ولا يجعل أذى الناس سببًا لفساد قلبه، بل كان عفوه وسلامة صدره مع قيامه بحق الله أكمل هدي وأزكاه.

ويكشف هذا المعنى في حُسن سلامة الصدر قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]: «وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانا متحابين، وأخلاء متصافين». تفسير السعدي (ص: ٢٨٩).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه». تفسير السعدي (ص: ٢٨٩).

وهذا يبين أن صفاء القلوب من أعظم النعيم، وأن زوال الغل سبب للمحبة والأخوة والطمأنينة، وأن العبد كلما طهّر صدره من الحسد والبغضاء اقترب من أخلاق أهل الجنة.

من ثمرات حُسن التخلق بسلامة الصدر

١. سلامة الصدر تريح القلب.

٢. سلامة الصدر تقوي الأخوة.

٣. سلامة الصدر تطفئ نار الخصومة.

ومتى طَهَّر العبد صدره لإخوانه، انطفأت نار الحسد، وفرح المؤمن بفضل الله إذا ساقه إلى غيره.

ثانيًا: قُبح الحسد

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]

هذه الآية الكريمة تأمر بالاستعاذة من شر الحاسد إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ فالحسد داءٌ في القلب، وشره يظهر حين يدفع صاحبه إلى القول أو الفعل أو الكيد أو تمني زوال النعمة عن غيره. وليس كل تمني لمثل نعمة الغير حسدًا مذمومًا؛ فالغبطة أن تحب مثل الخير دون زواله عن صاحبه، أما الحسد فهو تمني زوال النعمة أو السعي في إفسادها.

والتدبر العملي في الآية أن الحسد شرٌ يحتاج إلى استعاذة ومجاهدة؛ لأن الحاسد يتألم من نعمة غيره، ويغفل عن فضل ربه، وقد يتعدى بقلبه ولسانه ويده. ومن عرف أن الأرزاق والمواهب والعطايا بقسمة الله، رضي بما آتاه الله، ودعا بالبركة لإخوانه، وسأل الله من فضله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٤)، ومسلم برقم (٢٥٦٣).

وهذا الحديث ينهى عن الحسد؛ لأنه يهدم الأخوة، ويفتح أبواب الظن والتجسس والتباغض والتدابر، فلا يجتمع قلبٌ حاسد مع أخوة صادقة إلا على ضعف ونقص وفساد.

ومن لطيف ما قيل في قُبح الحسد قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥]: «والحاسد، هو الذي يحب زوال النعمة عن المحسود فيسعى في زوالها بما يقدر عليه من الأسباب». تفسير السعدي (ص: ٩٣٧).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «فاحتيج إلى الاستعاذة بالله من شره وإبطال كيده، ويدخل في الحاسد العائن؛ لأنه لا تصدر العين إلا من حاسد شرير الطبع خبيث النفس». تفسير السعدي (ص: ٩٣٧).

وفي هذا بيان أن الحسد داءٌ خفي قد يتحول إلى شر عملي، وأن النجاة منه تكون بالاستعاذة بالله، والرضا بقسمته، وحب الخير للمؤمنين، والدعاء بالبركة لمن أنعم الله عليه.

بعض الآثار لقُبح الحسد

١. الحسد يذهب صفاء القلب.

٢. الحسد يفسد الأخوة والمودة.

٣. الحسد يدفع إلى الظلم.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. ادع بالبركة لمن أنعم الله عليه.

٢. أحب الخير لإخوانك.

٣. طهر قلبك قبل النوم.

صور مرفوضة في الواقع

١. تمني زوال نعمة غيرك.

٢. الشماتة بمن نزلت به مصيبة.

٣. كتمان محاسن من تحسده.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ، وَصَفَاءِ القَلْبِ، وَحُبِّ الخَيْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الحَسَدِ وَالغِلِّ وَالحِقْدِ وَالشَّمَاتَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ.

اللَّهُمَّ انْزِعْ مَا فِي صُدُورِنَا مِنْ غِلٍّ لِلَّذِينَ آمَنُوا، وَاجْعَلْ قُلُوبَنَا مُتَحَابَّةً فِي طَاعَتِكَ، مُتَنَاصِحَةً فِي مَرْضَاتِكَ، مُتَعَاوِنَةً عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى.

اللَّهُمَّ إِذَا رَأَيْنَا نِعْمَةً عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ، فَارْزُقْنَا الدُّعَاءَ لَهُ بِالبَرَكَةِ، وَسُؤَالَكَ مِنْ فَضْلِكَ، وَالرِّضَا بِقِسْمَتِكَ، وَالشُّكْرَ عَلَى نِعَمِكَ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ يَتَأَلَّمُ لِنِعْمَةِ غَيْرِهِ، وَلِسَانٍ يَطْعَنُ فِي المَحْسُودِ، وَنَفْسٍ تَسْعَى فِي زَوَالِ الخَيْرِ عَنْ عِبَادِكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢٢. حسن البر وقبح العقوق

الحَمْدُ للهِ البَرِّ الرَّحِيمِ، الكَرِيمِ الحَلِيمِ، الَّذِي أَمَرَ بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَقَرَنَ حَقَّهُمَا بِحَقِّهِ، وَحَذَّرَ مِنْ عُقُوقِهِمَا وَالإِسَاءَةِ إِلَيْهِمَا، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا بَارًّا، وَلِسَانًا كَرِيمًا، وَعَمَلًا يُرْضِيهِ وَيُدْنِينَا مِنْ رِضَاهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَوْصَى بِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَجَعَلَ شُكْرَهُمَا مِنْ شُكْرِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَبَرُّ النَّاسِ، وَأَرْحَمُهُمْ، وَأَعْظَمُهُمْ وَفَاءً لِأَهْلِ الفَضْلِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الرضا، إنَّ البرَّ بابٌ واسعٌ من أبواب الجنة، وطريقٌ قريبٌ إلى رحمة الله، ووفاءٌ جميلٌ لمن كانا سببًا في وجودك بعد الله، وتحملا لأجلك ضعفًا وسهرًا وخوفًا وتربيةً. وليس البر كلماتٍ لطيفةً فحسب، بل هو إحسانٌ بالقول والفعل، وخفضٌ للجناح، وصبرٌ على الكبر والضعف، ودعاءٌ في الحياة وبعد الممات. واحذر العقوق؛ فإنه جرحٌ في أصل الوفاء، وقسوةٌ في موضع الرحمة، وسوء أدبٍ مع من قرن الله حقهما بحقه.

أولًا: حُسن البر

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

هذه الآية الكريمة عظمت حق الوالدين أعظم تعظيم؛ إذ قرن الله الإحسان إليهما بعبادته وحده، ثم نهى عن أدنى مراتب الأذى، وهي كلمة أف، فدل ذلك على أن ما فوقها من رفع الصوت، والغلظة، والإهانة، والتبرم، أشد قبحًا وأعظم خطرًا.

والتدبر العملي في الآية أن البر يبدأ من اللسان قبل اليد؛ فكلمة الولد قد تكون بلسمًا يشرح صدر والديه، وقد تكون سهمًا يجرحهما في شيخوختهما وضعفهما. فمن أراد البر فليحفظ نبرة صوته، وليختر أكرم الألفاظ، وليجعل خدمته لهما عبادة يتقرب بها إلى الله.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا». قيل: ثم أي؟ قال: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ». قيل: ثم أي؟ قال: «الجِهَادُ في سَبِيلِ اللهِ». أخرجه البخاري برقم (٥٢٧)، ومسلم برقم (٨٥).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما روته أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ في عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ». أخرجه البخاري برقم (٢٦٢٠)، ومسلم برقم (١٠٠٣).

فهذه صورة عملية واضحة في عظمة البر؛ إذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أسماء رضي الله عنها بصلة أمها مع كونها مشركة، فدل ذلك على سعة باب البر، وأن حق الوالدين في الإحسان والصلة ثابت، ما لم يأمرا بمعصية، فإن الطاعة لا تكون إلا في المعروف.

ومن كلام أهل العلم في حُسن البر قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]: «أي: أحسنوا إليهما بجميع وجوه الإحسان القولي والفعلي؛ لأنهما سبب وجود العبد ولهما من المحبة للولد والإحسان إليه والقرب ما يقتضي تأكد الحق ووجوب البر». تفسير السعدي (ص: ٤٥٦).

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]: «بلفظ يحبانه وتأدب وتلطف بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما وتطمئن به نفوسهما». تفسير السعدي (ص: ٤٥٦).

وهذا يبين أن البر ليس معنى عامًا غامضًا، بل هو إحسان بالقول والفعل، وتأدب وتلطف، ومراعاة لما يسر الوالدين ويطمئن قلبيهما، خصوصًا عند الكبر والضعف.

من ثمرات حُسن التخلق بالبر

١. البر من أحب الأعمال إلى الله.

٢. البر سبب لرضا الوالدين.

٣. البر يورث الوفاء والرحمة.

وكلما عُظِّم البر في القلب، استُقبِح العقوق في السلوك، واستحيا العبد أن يقابل الإحسان بالجفاء.

ثانيًا: قُبح العقوق

قال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]

هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الوالدين ولو كانا يأمران ولدهما بالشرك، ومع ذلك أمر الله بمصاحبتهما في الدنيا معروفًا. فإذا كان المعروف مأمورًا به مع الوالدين غير الموافقين للولد في الدين عند عدم طاعتهما في المعصية، فكيف بمن كانا مسلمين، محسنين، ضعيفين، محتاجين إلى لطف الولد وبره؟

والتدبر العملي في الآية أن العقوق لا يكون فقط بالضرب أو السب، بل قد يكون بالجفاء، والعبوس، وترك السؤال، والتأفف، ورد الكلام بقسوة، وتقديم الغرباء عليهما في الرعاية والاهتمام. فمن لم يحسن صحبتهما بالمعروف فقد فرط في باب عظيم من أبواب الدين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «**أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**». **قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»**. أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤)، ومسلم برقم (٨٧).

وهذا الحديث يبين خطورة العقوق؛ إذ عده النبي صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر، وقرنه بعد الإشراك بالله في مقام التحذير، فليس العقوق خلقًا سيئًا فحسب، بل كبيرة عظيمة تهدد دين صاحبها وبركة عمره وعلاقته بربه.

ومن لطيف ما قيل في قُبح العقوق قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]: «وهذا أدنى مراتب الأذى نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية». تفسير السعدي (ص: ٤٥٦).

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣]: «أي: تزجرهما وتتكلم لهما كلاما خشنا». تفسير السعدي (ص: ٤٥٦).

وفي هذا بيان أن العقوق يبدأ من أدنى صور الأذى، وأن الزجر والكلام الخشن منهي عنهما، فكيف بما هو أعظم من الإهانة، أو الهجر، أو رفع الصوت، أو ترك الرعاية مع الحاجة؟

بعض الآثار لقُبح العقوق

١. العقوق من أكبر الكبائر.

٢. العقوق يذهب الرحمة والوفاء.

٣. العقوق يجر الندم بعد الفوات.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. اخفض صوتك عند والديك.

٢. اخدمهما قبل أن يطلبا.

٣. ادع لهما في حياتهما وبعد موتهما.

صور مرفوضة في الواقع

١. التأفف من طلباتهما.

٢. رفع الصوت عليهما.

٣. هجرهما وقت حاجتهما.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَخَفْضِ الجَنَاحِ لَهُمَا، وَطَهِّرْنَا مِنَ العُقُوقِ، وَالجَفَاءِ، وَالتَّأَفُّفِ، وَسُوءِ القَوْلِ وَالفِعْلِ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا، وَاجْزِهِمْ عَنَّا خَيْرَ الجَزَاءِ، وَاغْفِرْ لِحَيِّهِمْ وَمَيِّتِهِمْ، وَارْفَعْ دَرَجَاتِهِمْ فِي المَهْدِيِّينَ.

اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى خِدْمَتِهِمْ بِرِضًا، وَمُخَاطَبَتِهِمْ بِأَدَبٍ، وَالصَّبْرِ عَلَى ضَعْفِهِمْ وَكِبَرِهِمْ، وَاجْعَلْ بِرَّهُمْ سَبَبًا لِرِضَاكَ عَنَّا.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ قَاسٍ، وَلِسَانٍ غَلِيظٍ، وَنَفْسٍ تَتَضَجَّرُ مِنْ حَقِّ الوَالِدَيْنِ، وَعَمَلٍ يُؤْذِيهِمَا أَوْ يُحْزِنُهُمَا.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

تنبيه: لي كتاب يسر الله نشره قريبًا بعنوان: صفحات مشرقة في بر الوالدين.

٢٣. حسن صلة الرحم وقبح القطيعة

الحَمْدُ للهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّطِيفِ الكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَ الخَلْقَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمُ الأَنْسَابَ وَالأَرْحَامَ، وَأَمَرَ بِصِلَتِهَا وَالإِحْسَانِ إِلَيْهَا، وَحَذَّرَ مِنْ قَطِيعَتِهَا وَالإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا وَاصِلًا، وَلِسَانًا لَيِّنًا، وَعَمَلًا يُصْلِحُ ذَاتَ القَرَابَةِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَ بِتَقْوَاهُ، وَأَمَرَ بِبِرِّ الأَرْحَامِ، وَجَعَلَ حُقُوقَ القَرَابَةِ مِنْ حُقُوقِهِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَوْصَلُ النَّاسِ لِرَحِمِهِ، وَأَرْحَمُهُمْ بِقَرَابَتِهِ، وَأَحْرَصُهُمْ عَلَى جَمْعِ القُلُوبِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ المكارم، إنَّ صلةَ الرحم عبادةٌ جليلة، ووفاءٌ كريم، وحفظٌ لحق القرابة التي جعلها الله سببًا للتراحم والتناصر والتآلف. وليست الصلة مقصورةً على الزيارة وحدها، بل تكون بالسؤال، والإحسان، والرفق، والدعاء، وحمل الحاجة، وترك الأذى، والصبر على الجفاء. واحذر القطيعة؛ فإنها تجفف ينابيع الرحمة في الأسرة، وتفتح أبواب الشيطان بين الأقارب، وقد تجعل القريب غريبًا، والبيت الواحد بيوتًا متنافرة لا يجمعها إلا الاسم والنسب.

أولًا: حُسن صلة الرحم

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

هذه الآية الكريمة افتتحت سورة النساء بالأمر بتقوى الله، والتنبيه إلى حق الأرحام، وتذكير الناس بأن أصلهم واحد، وأن القرابة ليست رابطة اجتماعية مجردة، بل حق شرعي

عظيم يراقب الله عباده فيه. فمن وصل رحمه فقد عظّم ما عظمه الله، ومن قطعها فقد فرط في حق أكده الله في كتابه.

والتدبر العملي في الآية أن صلة الرحم ليست تفضّلًا من الإنسان على أقاربه، بل عبادة يبتغي بها وجه الله، وميدان يختبر فيه صدق التقوى؛ فقد يصل الإنسان من يصله، لكن كمال الخلق أن يصل من جفاه، ويحسن إلى من قصر، ويبدأ بالسلام والسؤال طلبًا لرضا الله لا انتظارًا للمقابلة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء في قصة بدء الوحي، حين رجع صلى الله عليه وسلم إلى خديجة رضي الله عنها خائفًا، فقالت له مطمئنةً: «**كَلَّا، وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ**». أخرجه البخاري برقم (٣)، ومسلم برقم (١٦٠).

فهذه شهادة عظيمة من خديجة رضي الله عنها بخلق النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة؛ فقد كان صلته للرحم من دلائل كمال مروءته، وطهارة سيرته، وحسن إحسانه إلى الخلق. وفي ذلك بيان أن صلة الرحم من أخلاق الأنبياء والصالحين، وأنها علامة وفاء ورحمة وصدق.

ويكشف هذا المعنى في حُسن صلة الرحم قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾: «افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته، والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك». تفسير السعدي (ص: ١٦٣).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به». تفسير السعدي (ص: ١٦٣).

وهذا يبين أن صلة الرحم من حقوق الله التي أمر بها، وأن حق الأقربين آكد من غيرهم؛ لما بينهم من سبب النسب، وما يترتب على صلتهم من الرحمة والتآلف وحفظ البيوت.

من ثمرات حُسن التخلق بصلة الرحم

١. صلة الرحم سبب لبسط الرزق.

٢. صلة الرحم تحفظ المودة بين الأقارب.

٣. صلة الرحم تقوي الرحمة الأسرية.

وحين تحيا صلة الرحم في النفس، تموت دواعي القطيعة، ويغلب حق القرابة على نزغات الخصومة.

ثانيًا: قُبح القطيعة

قال الله: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٢٢].

هذه الآية الكريمة قرنت بين الإفساد في الأرض وقطيعة الأرحام؛ لأن القطيعة ليست شأنًا عائليًا صغيرًا، بل باب من أبواب الفساد الاجتماعي، إذ تقطع ما أمر الله بوصله، وتزرع الجفاء، وتضعف التعاون، وتحوّل القرابة إلى خصومة أو غربة.

والتدبر العملي في الآية أن قطيعة الرحم قد تبدأ بأسباب صغيرة: كلمة جارحة، أو موقف قديم، أو عتاب لم يعالج، أو كبر يمنع الاعتذار، ثم تكبر حتى تصير سنوات من الهجر. والعاقل لا يسمح للشيطان أن يجعل خصومة عابرة سببًا لهدم رحم باقية.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ». أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٤)، ومسلم برقم (٢٥٥٦).

وهذا الحديث وعيد شديد في قطيعة الرحم، يدل على خطرها على دين العبد ومصيره، وأنها ليست مجرد تقصير اجتماعي، بل ذنب عظيم يحتاج إلى توبة ومراجعة ورد للحقوق.

ومن كلام أهل العلم في قُبح القطيعة قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾: «أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتثال لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتول عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام». تفسير السعدي (ص: ٧٨٨).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾ [محمد: ٢٣]، أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [محمد: ٢٣] بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله». تفسير السعدي (ص: ٧٨٨).

وفي هذا بيان أن قطيعة الرحم من آثار الإعراض عن طاعة الله، وأنها مقرونة بالفساد، وأن صاحبها يعرض نفسه للبعد عن الرحمة والقرب من السخط، إلا أن يتوب ويصلح ما قطع.

بعض الآثار لقُبح القطيعة

١. القطيعة سبب للوعيد الشديد.

٢. القطيعة تفسد البيوت والقرابات.

٣. القطيعة تقطع الرحمة بين الأقارب.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. صل قريبك ولو جفاك.

٢. اسأل عن رحمك بانتظام.

٣. أصلح خصومة الأقارب سريعًا.

صور مرفوضة في الواقع

١. هجر الرحم لأجل خلاف.

٢. رد الإساءة بقطيعة دائمة.

٣. منع الأولاد من الأقارب.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنْا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الأَقَارِبِ، وَحِفْظِ حُقُوقِهِمْ، وَطَهِّرْنَا مِنَ القَطِيعَةِ وَالجَفَاءِ وَالهَجْرِ وَتَأْجِيجِ الخُصُومَاتِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَرْحَامَنَا مَوْصُولَةً بِطَاعَتِكَ، وَقُلُوبَنَا مُتَرَاحِمَةً في رِضَاكَ، وَبُيُوتَنَا مُتَآلِفَةً عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا صَبْرًا عَلَى جَفَاءِ الأَقَارِبِ، وَحِكْمَةً في إِصْلَاحِ الخِلَافِ، وَتَوَاضُعًا يَدْفَعُنَا إِلَى البَدْءِ بِالسَّلَامِ وَالصِّلَةِ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ قَاسٍ يَقْطَعُ رَحِمَهُ، وَلِسَانٍ يُوقِدُ الخُصُومَةَ، وَنَفْسٍ تَسْتَثْقِلُ حُقُوقَ القَرَابَةِ، وَعَمَلٍ يُبْعِدُنَا عَنْ رَحْمَتِكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢٤. حسن الجود بالعلم وقبح كتمانه

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الحَكِيمِ، الفَتَّاحِ الكَرِيمِ، الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَجَعَلَ العِلْمَ نُورًا لِلْقُلُوبِ، وَهُدًى لِلعُقُولِ، وَرَفَعَ بِهِ أَهْلَهُ دَرَجَاتٍ، وَأَمَرَ بِبَيَانِ الحَقِّ وَنَشْرِ الهُدَى، وَحَذَّرَ مِنْ كِتْمَانِ العِلْمِ وَإِخْفَاءِ البَيِّنَاتِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ المُتَعَلِّمِينَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ عِلْمًا نَافِعًا، وَعَمَلًا صَالِحًا، وَلِسَانًا مُبَيِّنًا لِلْحَقِّ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، عَلَّمَ وَهَدَى، وَبَيَّنَ وَأَرْشَدَ، وَجَعَلَ العُلَمَاءَ وَرَثَةَ الأَنْبِيَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَعَلَّمَ النَّاسَ الخَيْرَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ النور، إنَّ الجودَ بالعلم من أشرف أنواع الجود؛ لأن المال ينفع الجسد زمنًا، والعلم النافع يحيي القلب، ويهدي العقل، ويصلح الطريق، ويبقى أثره بعد موت صاحبه. وليس الجود بالعلم كلامًا بلا بصيرة، ولا تصدرًا بلا أهلية، ولكنه تعليمٌ لما علمت، وبيانٌ لما تحققت، ونصحٌ للناس بما ينفعهم، مع تواضع وخشية وأمانة. واحذر كتمان العلم؛ فإن الحق أمانة، والناس قد يحتاجون إلى كلمة تهديهم، أو فتوى تنقذهم، أو نصيحة تردهم، فكتمانها عند وجوب البيان خيانةٌ للعلم، وغشٌّ لعباد الله.

أولًا: حُسن الجود بالعلم

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

هذه الآية الكريمة ترفع منزلة من دعا إلى الله وعلّم الناس الخير، فليس أحسن قولًا ممن يحمل نور الهداية إلى الخلق، ويدلهم على ربهم، ويجمع بين العلم والعمل، والدعوة

والاستقامة. فالجود بالعلم ليس مجرد إلقاء كلمات، بل دعوة إلى الله مقرونة بعمل صالح يصدّق القول.

والتدبر العملي في الآية أن صاحب العلم لا يجعل علمه حبيس نفسه، ولا زينة لمكانته، بل يجعله سبيلًا إلى هداية الناس، وتعليم الجاهل، وتذكير الغافل، ونصح المحتاج. وكلما كان القصد ابتغاء وجه الله، كان التعليم عبادة ممتدة الأثر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً». أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يغتنم المواقف لتعليم الناس، ومن ذلك ما أخرجه أبو بكرة رضي الله عنه في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر، وفي آخرها قال: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ». أخرجه البخاري برقم (٦٧)، ومسلم برقم (١٦٧٩).

فهذه وصية نبوية عظيمة في نشر العلم؛ إذ لم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم العلم واقفًا عند من سمعه، بل حمّل الشاهد أمانة تبليغه للغائب، وفي ذلك بيان أن العلم أمانة تنتقل بالنصح والبيان، وأن سامع الخير قد يكون سببًا في وصوله إلى من ينتفع به أكثر منه.

ويكشف هذا المعنى في حُسن الجود بالعلم قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]: «هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولًا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]. بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين». تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه». تفسير السعدي (ص: ٧٤٩).

وهذا يبين أن تعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين، والدلالة على العلم والهدى من أعظم صور الدعوة إلى الله، ومن أجلّ أبواب الجود بالعلم، إذا صح القصد، وصلح العمل، وحُفظت الأمانة.

من ثمرات حُسن التخلق بالجود بالعلم

١. الجود بالعلم يهدي الجاهل.

٢. الجود بالعلم يضاعف أثر العالم.

٣. الجود بالعلم يبقي الأجر بعد الموت.

ومتى شرف العلم في قلب صاحبه، جاد به تعليمًا ونفعًا، وخاف أن يكتم أمانة حمله الله إياها.

ثانيًا: قُبح كتمان العلم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

هذه الآية الكريمة تبين خطورة كتمان العلم والهدى إذا وجب بيانه؛ فالحق ليس ملكًا خاصًّا يكتمه صاحبه طلبًا لمصلحة أو خوفًا من لوم، بل هو أمانة يجب بيانها عند الحاجة، لئلا يضل الناس، أو يلتبس عليهم الحق بالباطل.

والتدبر العملي في الآية أن كتمان العلم قد يكون بإخفاء الدليل، أو ترك البيان عند الحاجة، أو خلط الحق بالباطل، أو السكوت الذي يوقع الناس في الضلال. وليس المقصود أن يتكلم الإنسان في كل شيء بغير علم، بل المقصود ألا يكتم ما علمه وتعين عليه بيانه أو احتيج إليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيَامَةِ». أخرجه أبو داود برقم (٣٦٥٨)، والترمذي برقم (٢٦٤٩)، وقال الترمذي: حديث حسن.

وهذا الحديث يدل على خطورة كتمان العلم عند السؤال والحاجة، وأن العلم أمانة ومسؤولية، لا يجوز أن يتحول إلى وسيلة احتكار أو تعالٍ أو خوف مذموم، بل الواجب بيانه بضوابطه، وبقدر الحاجة، وبما يحفظ الدين وينصح الخلق.

ومن كلام أهل العلم في قُبح كتمان العلم قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾: «هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله». تفسير السعدي (ص: ٧٧).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا للناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله». تفسير السعدي (ص: ٧٧).

وفي هذا بيان أن كتمان العلم يجمع بين جنايتين: كتمان ما أنزل الله، والغش لعباد الله؛ لأن الناس يحتاجون إلى من يبين لهم طريق الحق، فإذا كتمه أهل العلم اختلطت السبل، وضعفت الهداية، وتجرأ الباطل.

بعض الآثار لقُبح كتمان العلم

١. كتمان العلم غش لعباد الله.

٢. كتمان العلم يلبس الحق بالباطل.

٣. كتمان العلم يوقع الناس في الضلال.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. علّم ما تعلمته بإخلاص.

٢. أجب السائل بقدر علمك.

٣. دل الناس على المصادر الموثوقة.

صور مرفوضة في الواقع

١. كتمان الحق عند الحاجة.

٢. إخفاء العلم عند الحاجة.

٣. احتكار الفائدة طلبًا للشهرة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالجُودِ بِالعِلْمِ، وَبَيَانِ الحَقِّ، وَنُصْحِ الخَلْقِ، وَطَهِّرْنَا مِنْ كِتْمَانِ العِلْمِ، وَالغِشِّ لِعِبَادِكَ، وَالقَوْلِ عَلَيْكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ عِلْمَنَا نَافِعًا، وَعَمَلَنَا صَالِحًا، وَتَعْلِيمَنَا خَالِصًا لِوَجْهِكَ، وَاجْعَلْنَا مَفَاتِيحَ لِلْهُدَى، دَالِّينَ عَلَى الخَيْرِ، نَاصِحِينَ لِعِبَادِكَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا أَمَانَةَ العِلْمِ، وَخَشْيَةَ القَوْلِ، وَحِكْمَةَ البَيَانِ، وَحُسْنَ التَّبْلِيغِ، وَاحْفَظْنَا مِنَ التَّصَدُّرِ بِغَيْرِ أَهْلِيَّةٍ، وَمِنَ السُّكُوتِ عَنْ بَيَانٍ وَاجِبٍ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَلِسَانٍ يَكْتُمُ الحَقَّ، وَنَفْسٍ تَطْلُبُ بِالعِلْمِ غَيْرَ وَجْهِكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢٥. حسن الإنصاف وقبح التعصب

الحَمْدُ للهِ الحَكَمِ العَدْلِ، العَلِيمِ الحَكِيمِ، الَّذِي أَمَرَ بِالقِسْطِ وَالإِنْصَافِ، وَنَهَى عَنِ الظُّلْمِ وَالهَوَى وَالتَّعَصُّبِ، وَجَعَلَ الحَقَّ أَحَقَّ أَنْ يُتَّبَعَ، وَالعَدْلَ أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا مُنْصِفًا، وَلِسَانًا عَادِلًا، وَعَمَلًا يُرْضِيهِ وَيُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ، وَيَنْهَى عَنِ البَغْيِ وَالعُدْوَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَعْدَلُ النَّاسِ حُكْمًا، وَأَصْدَقُهُمْ قَوْلًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الهَوَى وَالعَصَبِيَّةِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الحق، إنَّ الإنصاف خُلُقٌ عزيز، لا يقدر عليه إلا من عظم الله في قلبه، وقدم الحق على حظ نفسه، وأنزل الناس منازل العدل، فلا يبخس مخالفًا حقه، ولا يرفع موافقًا فوق قدره، ولا يرد صوابًا لأنه جاء من خصم، ولا يقبل خطأ لأنه صدر من حبيب. واحذر التعصب؛ فإنه يعمي البصيرة، ويجعل المرء أسير جماعته أو رأيه أو شيخه أو حزبه، يرى الحق باطلًا إذا خالف هواه، ويرى الباطل حقًّا إذا وافق رغبته، وذلك من أعظم أسباب الفرقة والظلم وفساد العلم والعمل.

أولًا: حُسن الإنصاف

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]

هذه الآية الكريمة أصل عظيم في الإنصاف؛ إذ أمر الله المؤمنين أن يكونوا قائمين لله، شهداء بالعدل، لا يحملهم بغض قوم أو مخالفتهم على ترك العدل معهم. فالإنصاف أن تقبل الحق ممن جاء به، وأن تعطي كل ذي حق حقه، وأن يكون ميزانك هو الشرع والعدل لا الهوى والمحبة والبغض.

والتدبر العملي في الآية أن المسلم لا يزن الناس بميزان العاطفة وحدها؛ فإن أحب شخصًا لم يقبل خطأه، وإن أبغض آخر لم يرد صوابه، بل يزن الأقوال والأفعال بميزان الحق. ومن هنا كان الإنصاف علامة قوة الإيمان؛ لأن صاحبه ينتصر للحق لا لنفسه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**». أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما كان في شأن المرأة المخزومية التي سرقت، حين شق ذلك على قريش، فكلموا أسامة بن زيد رضي الله عنه ليشفع فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟**»، **ثم قام فخطب وقال: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ**». أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٥)، ومسلم برقم (١٦٨٨).

فهذه صورة نبوية عظيمة في الإنصاف؛ إذ لم تمنع مكانة القبيلة، ولا شفاعة الحبيب، ولا وجاهة المرأة، من إقامة العدل، فدل ذلك على أن الإنصاف لا يعرف المحاباة، وأن الحق إذا ظهر وجب اتباعه على القريب والبعيد.

ومن لطيف ما قيل في حُسن الإنصاف قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ﴾ [المائدة: ٨]: بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة والباطنة». تفسير السعدي (ص: ٢٢٤).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «وأن يكون ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل، لا الإفراط ولا التفريط،

في أقوالكم ولا أفعالكم، وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو». تفسير السعدي(ص: ٢٢٤) .

وهذا يبين أن الإنصاف عبادة قلبية وعملية؛ فهو قيام لله، وقصد للعدل، وبعد عن الإفراط والتفريط، وعدل مع القريب والبعيد، والصديق والعدو.

من ثمرات حُسن التخلق بالإنصاف

١. الإنصاف يقرب من التقوى.

٢. الإنصاف يحفظ الحقوق.

٣. الإنصاف يورث قبول الحق.

فإذا استقام القلب على الإنصاف، ضاق بالتعصب، وقبل الحق ممن جاء به وإن خالف مألوفه وهواه.

ثانيًا: قُبح التعصب

قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨]

هذه الآية الكريمة تنهى عن صورة دقيقة من التعصب، وهي أن يحمل البغض أو الخصومة الإنسان على ترك العدل. فالتعصب المذموم لا يكون فقط للقبيلة أو الحزب، بل يكون للرأي، أو المذهب، أو الجماعة، أو الشيخ، أو النفس، حين يجعل صاحبه يرد الحق إذا جاء من غير جهته، أو ينصر الباطل لأنه صدر ممن ينتسب إليه.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن يفتش قلبه عند الخلاف: هل أريد الحق، أو أريد الانتصار لنفسي؟ وهل أقبل الصواب من مخالفي، أو أفرح بزلة من لا أحب؟ فمن وجد في نفسه ميلًا لرد الحق بسبب قائله، أو تبرير الخطأ بسبب صاحبه، فليعلم أن التعصب بدأ يعمل في قلبه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «مَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ». أخرجه مسلم برقم (١٨٥٠).

وهذا الحديث يبين قبح العصبية التي تجعل الإنسان يغضب وينصر ويدعو على غير بصيرة، لا لأجل الحق، بل لأجل العصبة والانتماء. وكل تعصب يرد الحق، أو ينصر الظلم، أو يفرق الأمة، فهو داخل في الذم بحسب حاله وقدره.

ويكشف هذا المعنى في قُبح التعصب قول ابن القيم رحمه الله في وصف أهل الحق: «زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال، يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه». إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (٢/١٠).

وقال رحمه الله في التحذير من فتنة التعصب: «تالله إنها فتنة عمت فأعمت، ورمت القلوب فأصمت، ربى عليها الصغير، وهرم فيها الكبير، واتخذ لأجلها القرآن مهجورا». إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (٢/١٢).

وفي هذا بيان أن التعصب فتنة تفسد الفهم، وتصرف القلب عن الحجة، وتجعل الناس أسرى الرجال والآراء والجماعات، بدل أن يكونوا واقفين مع الدليل والعدل والحق.

بعض الآثار لقُبح التعصب

١. التعصب يصد عن قبول الحق.

٢. التعصب يورث الظلم والبغي.

٣. التعصب يمزق الأخوة والجماعة.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. اقبل الحق من مخالفك.

٢. أنصف خصمك عند الخلاف.

٣. صحح خطأ من تحب.

صور مرفوضة في الواقع

١. تبرير خطأ جماعتك.

٢. رد الحق لأجل قائله.

٣. الطعن في كل مخالف.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالإِنْصَافِ، وَالعَدْلِ، وَقَبُولِ الحَقِّ، وَالقِيَامِ لَكَ بِالقِسْطِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ التَّعَصُّبِ، وَالهَوَى، وَالعَصَبِيَّةِ، وَظُلْمِ المُخَالِفِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُحِبُّونَ الحَقَّ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيَعْرِفُونَ الفَضْلَ لِأَهْلِهِ، وَيُنْصِفُونَ القَرِيبَ وَالبَعِيدَ، وَالصَّدِيقَ وَالمُخَالِفَ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قُلُوبًا لا تَعْمَى بِالهَوَى، وَأَلْسِنَةً لا تَجُورُ فِي الخُصُومَةِ، وَعُقُولًا لا تَأْسِرُهَا العَصَبِيَّةُ، وَنُفُوسًا تُقَدِّمُ رِضَاكَ عَلَى حُظُوظِهَا.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ رَدِّ الحَقِّ لِأَجْلِ قَائِلِهِ، وَمِنْ قَبُولِ البَاطِلِ لِأَجْلِ صَاحِبِهِ، وَمِنْ تَعَصُّبٍ يُفَرِّقُ القُلُوبَ، وَيُفْسِدُ العِلْمَ، وَيُضْعِفُ الأُخُوَّةَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢٦. حسن الوقار وقبح الطيش

الحَمْدُ للهِ الحَلِيمِ الحَكِيمِ، العَلِيمِ الخَبِيرِ، الَّذِي أَمَرَ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، وَحَبَّبَ إِلَى عِبَادِهِ الحِلْمَ وَالأَنَاةَ، وَحَذَّرَ مِنَ العَجَلَةِ وَالخِفَّةِ وَالطَّيْشِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا ثَابِتًا، وَلِسَانًا رَزِينًا، وَعَمَلًا مُسَدَّدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَهْدِي مَنْ شَاءَ إِلَى أَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، وَيَصْرِفُ عَمَّنْ شَاءَ سَيِّئَهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَكْمَلُ النَّاسِ وَقَارًا، وَأَعْظَمُهُمْ حِلْمًا، وَأَحْسَنُهُمْ سَمْتًا وَهَدْيًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الرشد، إنَّ الوقار زينة العاقل، ولباس الموفق، وعلامة قلب عرف قدر الكلمة، وخطر الموقف، وثمرة القرار. فالوقور ليس بطيئًا عن الخير، ولا جامدًا عن المبادرة، ولكنه ثابت القلب، حسن السمت، متأنٍّ في الحكم، يزن القول قبل إطلاقه، والفعل قبل الإقدام عليه. واحذر الطيش؛ فإنه خفة تجر الندامة، وعجلة تفسد الصواب، وانفعال يسبق العقل، ورب كلمة طائشة أشعلت خصومة، ورب قرار متعجل أضاع حقًّا، ورب حركة غير موزونة ندمت عليها النفس طويلًا.

أولًا: حُسن الوقار

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

هذه الآية الكريمة تصف عباد الرحمن بالسكينة والوقار والتواضع؛ فهم يمشون على الأرض هونًا، لا تكبرًا ولا خفة ولا اختيالًا، وإذا خاطبهم الجاهلون لم يقابلوهم بمثل جهلهم، بل أجابوا بما تسلم به قلوبهم وألسنتهم من الإثم.

والتدبر العملي في الآية أن الوقار يظهر في المشي والكلام والخصومة والمواقف اليومية؛ فليس الوقار هيئة خارجية فحسب، بل هو عقل راجح، ونفس هادئة، ولسان منضبط، وقلب لا يستفزه الجاهلون إلى ما لا يليق بأهل الإيمان.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشج عبد القيس: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**». أخرجه مسلم برقم (١٧) .

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أنه علّم الناس السكينة في مواطن الحركة والزحام، ومن ذلك ما جاء في حجته صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول للناس: «**السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ**». أخرجه مسلم برقم (١٢١٨) .

فهذه وصية نبوية عملية بالسكينة عند الاندفاع والزحام، تدل على أن الوقار مطلوب في العبادة والسير والمعاملة، وأن الخير لا يُنال بالطيش والاضطراب، بل بالطمأنينة وحسن القصد وضبط النفس.

ومن كلام أهل العلم في حُسن الوقار قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا**﴾ [الفرقان: ٦٣]: «أي: ساكنين متواضعين لله والخلق فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة والتواضع لله ولعباده». تفسير السعدي (ص: ٥٨٦) .

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا**﴾ [الفرقان: ٦٣]: «وهذا مدح لهم، بالحلم الكثير ومقابلة المسيء بالإحسان والعفو عن الجاهل ورزانة العقل الذي أوصلهم إلى هذه الحال». تفسير السعدي (ص: ٥٨٦) .

وهذا يبين أن الوقار يجمع السكينة والتواضع والحلم ورزانة العقل، وأنه يظهر خاصة عند استفزاز الجاهلين؛ لأن الوقور يملك نفسه حين تضطرب نفوس غيره.

من ثمرات حُسن التخلق بالوقار

١. الوقار يحفظ هيبة المؤمن.

٢. الوقار يعين على حسن القرار.

٣. الوقار يمنع الندم بعد العجلة.

وحين تُرزق النفس بالوقار، يخف عنها الطيش، وتصير مواقفها موزونة ببصيرة الدين لا بعجلة الانفعال.

ثانيًا: قُبح الطيش

قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]

هذه الآية الكريمة تكشف جانبًا من ضعف الإنسان حين يستعجل ويفقد التؤدة؛ فقد يدعو بالشر على نفسه أو ولده أو ماله عند الغضب، كما يدعو بالخير، ولو استجيب له لهلك أو ندم. فالطيش يجعل الانفعال يسبق العقل، والكلمة تخرج قبل التفكر، والتصرف يقع قبل تقدير العاقبة.

والتدبر العملي في الآية أن العبد يحتاج إلى ضبط نفسه عند الغضب، والفرح، والخوف، والخصومة، والحماس؛ لأن أكثر الطيش يولد في لحظة انفعال، ثم تبقى آثاره زمنًا طويلًا. ومن رزق الأناة سلم من كثير من الندم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا من الانفعال الذي يوقع في الطيش: «لا تَغْضَبْ». أخرجه البخاري برقم(٦١١٦) .

وهذا الحديث أصل عظيم في ضبط النفس؛ لأن الغضب إذا استولى على الإنسان أوقعه في الطيش بالقول والفعل والحكم، وربما ندم بعد سكون غضبه على ما لا يستطيع رده.

ومن لطيف ما قيل في قُبح الطيش قول الشعبي رحمه الله: «يا طلاب العلم، لا تطلبوا العلم بسفه وطيش، اطلبوه بسكينة ووقار وتؤدة». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٣٤).

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «العجلة موكل بها الندم وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة واستفاد مذمة لأن الزلل مع العجل». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ٢١٧).

وفي هذا بيان أن الطيش والعجلة يورثان الندامة والمذمة والزلل، وأن الرشيد لا يقدم على الكلام والعمل حتى يزن عاقبته، ولا يترك الحزم بحجة الحماس، ولا يجعل سرعته سببًا لسقوطه.

بعض الآثار لقُبح الطيش

١. الطيش يوقع في الندم.

٢. الطيش يفسد الرأي والعمل.

٣. الطيش يذهب هيبة صاحبه.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. تأن قبل الحكم على الناس.

٢. الزم السكينة عند الخصومة.

٣. اضبط لسانك عند الغضب.

صور مرفوضة في الواقع

١. التسرع في نشر الأخبار.

٢. رفع الصوت عند الخلاف.

٣. اتخاذ القرار وقت الغضب.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالوَقَارِ، وَالسَّكِينَةِ، وَالحِلْمِ، وَالأَنَاةِ، وَحُسْنِ السَّمْتِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ الطَّيْشِ، وَالعَجَلَةِ، وَالخِفَّةِ، وَسُوءِ التَّصَرُّفِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ قُلُوبَنَا ثَابِتَةً عَلَى الحَقِّ، وَأَلْسِنَتَنَا مَحْفُوظَةً عِنْدَ الغَضَبِ، وَأَعْمَالَنَا مَبْنِيَّةً عَلَى الحِكْمَةِ وَالرَّشَادِ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا أَنَاةً تَمْنَعُنَا مِنَ الزَّلَلِ، وَسَكِينَةً تَحْفَظُنَا عِنْدَ الفِتَنِ، وَحِلْمًا يَرُدُّنَا عَنِ الانْتِقَامِ، وَوَقَارًا يَرْفَعُنَا عَنْ سَفَاسِفِ الأُمُورِ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ مُضْطَرِبٍ، وَلِسَانٍ مُنْفَعِلٍ، وَعَمَلٍ مُتَعَجِّلٍ، وَقَرَارٍ طَائِشٍ، وَنَدَمٍ يَكُونُ ثَمَرَةَ العَجَلَةِ وَسُوءِ التَّدْبِيرِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢٧. حسن ستر العيوب وقبح التشهير

الحَمْدُ للهِ الحَلِيمِ الرَّحِيمِ، العَلِيمِ الخَبِيرِ، الَّذِي يُحِبُّ السَّتْرَ وَالعَفْوَ وَالرَّحْمَةَ، وَيَكْرَهُ الفَضِيحَةَ وَالتَّشْهِيرَ وَتَتَبُّعَ العَوْرَاتِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا رَحِيمًا، وَلِسَانًا عَفِيفًا، وَعَمَلًا يُرْضِيهِ وَيَسْتُرُنَا بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَقْبَلُ التَّوْبَ، وَيَسْتُرُ عَلَى عِبَادِهِ بِفَضْلِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْحَمُ النَّاسِ بِالخَلْقِ، وَأَحْرَصُهُمْ عَلَى إِصْلَاحِهِمْ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ التَّشْهِيرِ وَالإِيذَاءِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الرحمة، إنَّ ستر العيوب خُلُقٌ كريم، يدل على قلب يحب الإصلاح لا الفضيحة، ويرجو للناس التوبة لا السقوط، وينظر إلى عيب أخيه بعين الشفقة لا بعين الشماتة. وليس الستر إقرارًا للمنكر، ولا تعطيلًا للحقوق، ولا حمايةً للظالم، ولكنه سترٌ مع نصح، وإصلاحٌ مع رحمة، ورفقٌ بمن زلَّ ولم يجاهر ولم يتعدَّ ضرره إلى الناس. واحذر التشهير؛ فإنه سهم مسموم في أعراض المسلمين، يفرح به الشيطان، وتنتشر به الفواحش، وتتمزق به القلوب، ورب كلمة نشرتها في عيب أخيك بقي أثرها بعد ندمك وتوبتك.

أولًا: حُسن ستر العيوب

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢]

هذه الآية الكريمة تنهى عن التجسس والغيبة؛ لأنهما طريقان إلى كشف العيوب ونشرها. فالمؤمن لا يفتش عن زلات الناس، ولا يتتبع أسرارهم، ولا يجعل مجالسه موضعًا لذكر عيوبهم، بل يستر ما لا مصلحة في كشفه، وينصح برفق إذا احتاج الأمر إلى نصح.

والتدبر العملي في الآية أن ستر العيوب يبدأ من ترك البحث عنها؛ فمن فتش وجد، ومن وجد تكلم، ومن تكلم نشر، ومن نشر أفسد. أما المؤمن الرحيم فينشغل بإصلاح نفسه، ويستر على أخيه فيما لا يضيع حقًا، ويدعو له بالهداية، وينصح له بعيدًا عن أعين الناس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». **أخرجه البخاري برقم(٢٤٤٢)، ومسلم برقم(٢٥٨٠)، واللفظ للبخاري.**

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما كان منه في قصة ماعز رضي الله عنه، إذ لما جاء مقرًّا على نفسه أعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم مرارًا ولم يعاجله، وفي ذلك تعليم للأمة أن الأصل عدم تتبع العورات، وأن من وقع في ذنب فليتب إلى الله وليستتر بستر الله، ما لم يترتب على الستر تضييع حق أو إضرار بالناس. **أصل القصة أخرجه البخاري برقم(٦٨٢٤)، ومسلم برقم(١٦٩١).**

وهذه الصورة النبوية تعلمنا أن مقصود الشريعة إصلاح القلوب، وفتح باب التوبة، وعدم تتبع الساقطين أو الفرح بزلاتهم، مع بقاء الحقوق والحدود الشرعية في مواضعها التي جاءت بها الشريعة.

ومن كلام أهل العلم في حُسن ستر العيوب قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عَن عيوب الناس مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه فإن من اشتغل بعيوبه عَن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه». **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٢٥).**

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «وإن من اشتغل بعيوب الناس عَن عيوب نفسه عمى قلبه وتعب بدنه وتعذر عَلَيْهِ ترك عيوب نفسه». **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٢٥).**

وهذا يبين أن ستر العيوب مرتبط بسلامة القلب، وأن من اشتغل بإصلاح نفسه قلّ تتبعه لزلات الناس، وسلم من آفات التجسس والغيبة والشماتة.

من ثمرات حُسن التخلق بستر العيوب

١. ستر العيوب سبب لستر الله.

٢. ستر العيوب يحفظ أعراض المسلمين.

٣. ستر العيوب يفتح باب التوبة.

وكلما عظم ستر العيوب في القلب، قبح التشهير على اللسان، واستحيا المؤمن أن يفضح من يحب الله ستره.

ثانيًا: قُبح التشهير

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

هذه الآية الكريمة تبين خطورة محبة إشاعة الفاحشة في المجتمع المؤمن، فكيف بمن يسعى إلى نشرها، أو يفرح بانتشارها، أو يفضح الناس بها؟ فالتشهير بالعيوب والزلات ليس مجرد كلام عابر، بل هو إفساد للأعراض، وإشاعة للشر، وجرأة على حرمات المؤمنين.

والتدبر العملي في الآية أن اللسان والكتابة ووسائل النشر أمانة؛ فليس كل ما عُرف يقال، ولا كل ما وصل ينشر، ولا كل خطأ يعالج بالفضيحة. ومن أحب لأخيه ما يحب لنفسه كره أن تنتشر عيوبه، وسعى إلى إصلاحه بالستر والنصح لا بالتشهير والشماتة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا». أخرجه البخاري برقم(٦٠٦٤)، ومسلم برقم(٢٥٦٣).

وهذا الحديث أصل في سد أبواب التشهير؛ لأن التشهير غالبًا يبدأ بظن، ثم تجسس، ثم تتبع، ثم نقل، ثم تباغض وفساد بين الناس، فجاء النهي النبوي جامعًا لما يحفظ حرمة المسلم وأخوته وستر عورته.

ومن لطيف ما قيل في قُبح التشهير قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ [النور: ١٩]: «أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: موجع للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراءته على أعراضهم». تفسير السعدي (ص: ٥٦٤).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟». تفسير السعدي (ص: ٥٦٤).

وفي هذا بيان أن التشهير من أعظم أبواب الأذى؛ لأنه يجمع بين محبة الشر للمسلمين، والجراءة على أعراضهم، ونقل ما يفسد القلوب والمجتمعات.

بعض الآثار لقُبح التشهير

١. التشهير يشيع الفاحشة.

٢. التشهير يهدم حرمة المسلم.

٣. التشهير يورث البغضاء والشماتة.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. استر زلة أخيك وانصحه.

٢. أصلح الخطأ بلا فضيحة.

٣. احفظ سر من ائتمنك.

صور مرفوضة في الواقع

١. نشر عيوب الناس للتسلية.

٢. تتبع زلات المخالفين.

٣. التشهير باسم النصيحة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِسَتْرِ العُيُوبِ، وَحِفْظِ الأَعْرَاضِ، وَالنُّصْحِ بِرِفْقٍ، وَالرَّحْمَةِ بِالمُذْنِبِينَ وَالمُخْطِئِينَ، وَطَهِّرْنَا مِنَ التَّشْهِيرِ، وَالفَضِيحَةِ، وَتَتَبُّعِ العَوْرَاتِ، وَالشَّمَاتَةِ بِالعِبَادِ.

اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، وَاحْفَظْ أَلْسِنَتَنَا وَأَقْلَامَنَا وَمَجَالِسَنَا مِنْ إِشَاعَةِ السُّوءِ فِي المُؤْمِنِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُصْلِحُونَ وَلا يَفْضَحُونَ، وَيَنْصَحُونَ وَلا يُشَهِّرُونَ، وَيَرْحَمُونَ أَهْلَ الزَّلَلِ، وَيَدْعُونَهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالصَّلَاحِ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ يَفْرَحُ بِفَضِيحَةِ مُسْلِمٍ، وَلِسَانٍ يَنْشُرُ عَيْبَهُ، وَيَدٍ تَكْتُبُ مَا يُؤْذِيهِ، وَنَفْسٍ تَتَتَبَّعُ عَوْرَاتِ عِبَادِكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢٨. حسن التثبت وقبح التسرع

الحَمْدُ للهِ العَلِيمِ الخَبِيرِ، الحَكِيمِ البَصِيرِ، الَّذِي أَمَرَ بِالتَّبَيُّنِ وَالتَّثَبُّتِ، وَنَهَى عَنِ اتِّبَاعِ الظَّنِّ وَالقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَجَعَلَ العَاقِبَةَ لِمَنْ تَأَنَّى وَتَبَصَّرَ وَاتَّقَى، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا رَاشِدًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَعَمَلًا مُسَدَّدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَعْلَمُ خَفِيَّ الأُمُورِ وَظَاهِرَهَا، وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ عِبَادِهِ شَيْءٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَكْمَلُ النَّاسِ تَبَيُّنًا، وَأَعْظَمُهُمْ عَدْلًا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ العَجَلَةِ وَالحُكْمِ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الرشد، إنَّ التثبت حصن العقل، وزمام اللسان، وميزان العدل؛ به يسلم المؤمن من ظلم الناس، ونشر الباطل، وبناء الأحكام على الوهم. وليس التثبت ترددًا مذمومًا، ولا ضعفًا عن القرار، بل هو طلب للحق قبل الحكم، واستبانة للطريق قبل المسير، وصيانة للنفس من الندم. واحذر التسرع؛ فإنه باب واسع للزلل، يوقع صاحبه في نقل الكذب، أو اتهام البريء، أو ظلم المخالف، أو اتخاذ قرار لا يملك بعده إلا الحسرة والاعتذار.

أولًا: حُسن التثبت

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]

هذه الآية الكريمة أصل عظيم في التثبت من الأخبار قبل قبولها ونشرها والعمل بمقتضاها؛ لأن الخبر إذا بُني عليه حكم أو موقف أو عقوبة بغير بينة، فقد يفضي إلى ظلم الأبرياء، وإفساد العلاقات، ونشر الباطل، ثم تكون العاقبة ندمًا.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن لا يجعل أذنه طريقًا لكل خبر، ولا لسانه جسرًا لكل شائعة، ولا قلبه موضعًا لكل اتهام، بل يتوقف ويتبين، ويسأل عن المصدر، وينظر في القرائن، ولا يبني موقفًا حتى يظهر له وجه الحق.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه.

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما وقع لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سمع هشام بن حكيم رضي الله عنه يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأه النبي صلى الله عليه وسلم، فأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمع النبي صلى الله عليه وسلم إلى قراءة هشام، ثم إلى قراءة عمر، ثم قال لكل واحد منهما: «هَكَذَا أُنْزِلَتْ»، وقال: «إِنَّ هَذَا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ». أخرجه البخاري برقم (٤٩٩٢)، ومسلم برقم (٨١٨).

فهذه صورة نبوية جليلة في التثبت؛ إذ لم يحكم النبي صلى الله عليه وسلم بمجرد إنكار عمر رضي الله عنه، بل سمع من الطرفين، وبيّن الحق، وأزال الإشكال، فعلّم الأمة أن الحكم لا يبنى على سماع طرف واحد، وأن التثبت يرفع النزاع ويكشف الصواب.

ويكشف هذا المعنى في حُسن التثبت قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]: «وهذا أيضًا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم». تفسير السعدي (ص: ٨٠٠).

وقال رحمه الله في الموضع نفسه: «بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به». تفسير السعدي (ص: ٨٠٠).

وهذا يبين أن التثبت أدب من آداب أولي الألباب، وأن الأخبار لا تؤخذ مجردة بلا نظر، وأن القرائن والدلائل معتبرة في معرفة الصدق والكذب، صيانةً للدماء والأموال والأعراض.

من ثمرات حُسن التخلق بالتثبت

١. التثبت يحفظ الأرواح، والحقوق، ويصون الدماء، ويدل على رجاحة العقل.

٢. التثبت يمنع نشرَ الكذب، ويقي المجتمع من مخاطر القرارات السّريعة.

٣. التثبت يقي من الندم، ويثمر الثّقةَ بالنّفس، ويُبعدُ عن الشَّكِ وهواجس الشّيطان.

وكلما تربى القلب على التثبت، انكسر اندفاع التسرع، وسلم العبد من ظلم الأحكام ومرارة الندم.

ثانيًا: قُبح التسرع

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

هذه الآية الكريمة تنهى عن اتباع ما لا علم للإنسان به؛ فلا يتكلم بغير علم، ولا يحكم بغير بينة، ولا ينقل بغير تثبت، ولا يتبع ظنًا مجردًا يوقعه في الظلم أو الكذب. وهي تذكره بأن السمع والبصر والفؤاد مسؤولة بين يدي الله.

والتدبر العملي في الآية أن التسرع في الكلام والحكم والنقل ليس خفة عابرة، بل مسؤولية شرعية؛ فما سمعته ستسأل عنه، وما رأيته ستسأل عن فهمه، وما اعتقده قلبك في الناس ستسأل عنه. فالعاقل لا يجعل جوارحه شهودًا عليه بسبب عجلة ساعة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا من الحكم حال اضطراب النفس: «لَا يَحْكُمُ أَحَدٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ». أخرجه البخاري برقم (٧١٥٨)، ومسلم برقم (١٧١٧).

وهذا الحديث أصل في ترك التسرع عند غلبة الانفعال؛ لأن الغضب يحجب تمام النظر، ويضعف التروي، وقد يحمل صاحبه على حكم أو قول أو تصرف يجانب العدل. فإذا كان القاضي يُنهى عن الحكم وهو غضبان، فكل مسلم أولى أن يحذر قرارات الغضب وأحكام العجلة.

ومن كلام أهل العلم في قُبح التسرع قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾: «أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك». تفسير السعدي (ص: ٤٥٧).

وقال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله: «العجلة موكل بها الندم وما عجل أحد إلا اكتسب ندامة واستفاد مذمة؛ لأن الزلل مع العجل». روضة العقلاء، لابن حبان (ص: ٢١٧).

وفي هذا بيان أن التسرع يجمع بين مخالفة أمر الله بالتثبت، وتعريض النفس للمسؤولية، واكتساب الندامة والمذمة؛ لأن العجلة كثيرًا ما تسبق العلم، وتقدم الفعل قبل وضوح الصواب.

"وروي عن عليّ- رضي الله عنه- أنّ رجلا سعى إليه برجل، فقال له: يا هذا نحن نسأل عمّا قلت، فإن كنت صادقا مقتناك، وإن كنت كاذبا عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك، فقال: أقلني يا أمير المؤمنين" الإحياء، للغزالي (٣/ ١٥٧).

بعض الآثار لقُبح التسرع

١. التسرع يوقع في الندم.

٢. التسرع يظلم الأبرياء.

٣. التسرع ينشر الأخبار الكاذبة.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. تحقق قبل نشر الخبر.

٢. اسمع من الطرفين أولًا.

٣. أخِّر قرار الغضب.

صور مرفوضة في الواقع

١. نشر الخبر بلا مصدر.

٢. اتهام الناس بالظنون.

٣. الحكم قبل سماع الجواب.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِالتَّثَبُّتِ، وَالتَّبَيُّنِ، وَالتَّأَنِّي، وَالعَدْلِ في الحُكْمِ وَالقَوْلِ وَالنَّقْلِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ التَّسَرُّعِ، وَالعَجَلَةِ، وَاتِّبَاعِ الظَّنِّ، وَالقَوْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ أَسْمَاعَنَا مِنْ قَبُولِ البَاطِلِ، وَأَبْصَارَنَا مِنْ تَتَبُّعِ الزَّلَلِ، وَقُلُوبَنَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ، وَأَلْسِنَتَنَا مِنْ نَقْلِ مَا لا نَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا حِكْمَةً قَبْلَ القَرَارِ، وَصَبْرًا عِنْدَ الخَبَرِ، وَعَدْلًا عِنْدَ الخُصُومَةِ، وَبَصِيرَةً تَمْنَعُنَا مِنْ ظُلْمِ النَّاسِ بِجَهَالَةٍ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ خَبَرٍ نَنْشُرُهُ بِلَا تَثَبُّتٍ، وَحُكْمٍ نُصْدِرُهُ بِلَا بَيِّنَةٍ، وَقَرَارٍ نَتَّخِذُهُ في غَضَبٍ، وَنَدَمٍ يَكُونُ ثَمَرَةَ العَجَلَةِ وَسُوءِ التَّبَيُّنِ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٢٩. حسن الاعتذار وقبح المكابرة

الحَمْدُ للهِ الغَفُورِ الرَّحِيمِ، التَّوَّابِ الحَلِيمِ، الَّذِي فَتَحَ لِعِبَادِهِ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ، وَحَبَّبَ إِلَيْهِمُ الاعْتِرَافَ بِالخَطَأِ وَطَلَبَ العَفْوِ وَإِصْلَاحَ مَا فَسَدَ، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الكِبْرِ وَالمُكَابَرَةِ وَرَدِّ الحَقِّ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا مُنِيبًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَعَمَلًا يُرْضِيهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَصْدَقُ النَّاسِ تَوَاضُعًا، وَأَعْظَمُهُمْ حَقًّا، وَأَبْعَدُهُمْ عَنِ الكِبْرِ وَالمُكَابَرَةِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الصفاء، إنَّ الاعتذار خُلُقٌ كريم، لا يقدر عليه إلا قلبٌ عرف قدر الحق، وكره ظلم الناس، وأحب أن يخرج من الخطأ طاهرًا لا مصرًّا. وليس الاعتذار ذلًّا مذمومًا، بل هو شجاعة أدبية، ورجوع إلى الصواب، وجبر للقلوب، ورد للحقوق. واحذر المكابرة؛ فإنها تجعل المخطئ أسير كبريائه، يرى الاعتراف هزيمة، والرجوع نقصًا، فيزداد خطؤه خطأً، ويخسر الحق والقلوب والطمأنينة.

أولًا: حُسن الاعتذار

قال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

هذه الآية الكريمة تعرض أول صورة عظيمة للاعتراف بالخطأ والرجوع إلى الله؛ فقد اعترف آدم وحواء عليهما السلام بالذنب، ولم يجادلا، ولم يحملا غيرهما المسؤولية، بل أقبلا على ربهما بسؤال المغفرة والرحمة. وهذا أصل في أدب المؤمن إذا أخطأ: يعترف، ويتوب، ويصلح، ولا يكابر.

والتدبر العملي في الآية أن الاعتذار الصادق يبدأ من صدق القلب؛ فمن أخطأ في حق الله تاب إليه، ومن أخطأ في حق الناس اعتذر ورد المظلمة، ومن آذى قلبًا جبره، ومن أفسد شيئًا أصلحه. أما الاعتذار الذي لا يصحبه صدق ولا إصلاح فهو لفظ بارد لا يداوي الجرح.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ». أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٩).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما وقع في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك بغير عذر، فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم جاءه كعب واعترف بصدقه، ولم يعتذر بعذر كاذب، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ». أخرجه البخاري برقم (٤٤١٨)، ومسلم برقم (٢٧٦٩).

فهذه صورة عملية عظيمة في شرف الصدق والاعتراف؛ فقد نجا كعب رضي الله عنه بصدق توبته وتركه الاعتذار الكاذب، فدل ذلك على أن الاعتذار الحق لا يقوم على التلبيس، بل على الصدق، والرجوع، وتحمل تبعة الخطأ.

ومن لطيف ما قيل في حُسن الاعتذار قول أبي حاتم ابن حبان رحمه الله: «فالواجب على العاقل إذا اعتذر إليه أخوه لجرم مضى أو لتقصير سبق أن يقبل عذره ويجعله كمن لم يذنب». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٨٣).

وقال رحمه الله: «ومن فرط منه تقصير في سبب من الأسباب يجب عَلَيْهِ الاعتذار في تقصيره إلى أخيه». روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ابن حبان (ص: ١٨٣).

وهذا يبين أن الاعتذار خلق متبادل؛ فمن أخطأ فعليه الاعتذار، ومن اعتذر إليه أخوه فالأصل أن يقبل عذره إذا ظهر صدقه، حتى تبقى القلوب صافية، وتزول آثار الزلة، وتقوم الأخوة على العفو والإنصاف.

من ثمرات حُسن التخلق بالاعتذار

١. الاعتذار يجبر القلوب.

٢. الاعتذار يطفئ الخصومات.

٣. الاعتذار يعيد الثقة والمودة.

وحين تهذَّب النفس بقبول الاعتذار، تذل فيها المكابرة، وتعلم أن الرجوع إلى الحق رفعة لا هزيمة.

ثانيًا: قُبح المكابرة

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

هذه الآية الكريمة تصور قبح المكابرة حين يُنصح الإنسان بتقوى الله، فيأبى الرجوع، ويأخذه الكبر بالإثم، فيزداد إصرارًا بدل أن يلين للحق. فالمشكلة ليست في وقوع الخطأ وحده، بل في الدفاع عنه، وتبريره، ورفض النصيحة، والأنفة من الاعتراف.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن ينبغي أن يفرح بمن يرده إلى الحق، لا أن يغضب ممن ينصحه. فإذا قيل له: اتق الله، فتذكر وخضع ورجع، كان ذلك علامة حياة قلبه، أما إذا أخذته العزة بالإثم، واشتد في الباطل، فهذه مكابرة خطيرة تقوده إلى الهلاك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرًا من الكبر الذي هو أصل المكابرة: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**». **فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون**

ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

أخرجه مسلم برقم (٩١).

وهذا الحديث يبين أن حقيقة الكبر المذموم ليست حسن الهيئة، بل رد الحق واحتقار الناس. وهذه هي المكابرة في أصلها؛ أن يعرف الإنسان الحق ثم يرده، أو يظهر له خطؤه ثم يصر عليه، أو يأنف من الاعتذار لأنه يرى نفسه فوق الرجوع.

ويكشف هذا المعنى في قُبح المكابرة قول السعدي رحمه الله في قصة آدم وإبليس: «هذا وإبليس مستمر على طغيانه غير مقلع عن عصيانه فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع - إذا صدرت منه الذنوب - اجتباه ربه وهداه». تفسير السعدي (ص: ٢٨٥).

وقال رحمه الله في تفسير امتناع إبليس: «فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس لم يسجد ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ عن أمر ربه، واستكبر على آدم ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله تعالى». تفسير السعدي (ص: ٧١٧).

وفي هذا بيان الفرق بين طريق الاعتذار وطريق المكابرة؛ فآدم عليه السلام اعترف وسأل المغفرة، فاجتباه ربه وهداه، أما إبليس فأبى واستكبر واحتج لباطله، فكان من الخاسرين.

بعض الآثار لقُبح المكابرة

١. المكابرة تمنع قبول الحق.

٢. المكابرة تطيل الخصومات.

٣. المكابرة تورث قسوة القلب.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. اعترف بخطئك بلا مراوغة.

٢. اطلب العفو ممن ظلمته.

٣. أصلح ما أفسدته بصدق.

صور مرفوضة في الواقع

١. تبرير الخطأ بعد ظهوره.

٢. الغضب من الناصح الصادق.

٣. رد الحق حفظًا للمكانة.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِحُسْنِ الاعْتِذَارِ، وَالصِّدْقِ في الرُّجُوعِ، وَرَدِّ المَظَالِمِ، وَجَبْرِ القُلُوبِ، وَطَهِّرْنَا مِنَ المُكَابَرَةِ، وَالكِبْرِ، وَرَدِّ الحَقِّ، وَتَبْرِيرِ البَاطِلِ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا قُلُوبًا تَخْضَعُ لِلْحَقِّ إِذَا ظَهَرَ، وَأَلْسِنَةً تَعْتَذِرُ عِنْدَ الخَطَأِ، وَنُفُوسًا تُحِبُّ الإِصْلَاحَ وَلا تَسْتَكْبِرُ عَنِ الرُّجُوعِ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ إِذَا أَخْطَؤُوا اعْتَرَفُوا، وَإِذَا ظَلَمُوا تَحَلَّلُوا، وَإِذَا نُصِحُوا قَبِلُوا، وَإِذَا ذُكِّرُوا اتَّقَوْا.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ يَأْبَى النُّصْحَ، وَلِسَانٍ يُجَادِلُ عَنِ الخَطَأِ، وَنَفْسٍ تَأْخُذُهَا العِزَّةُ بِالإِثْمِ، وَعَمَلٍ يُورِثُنَا النَّدَمَ وَالخُسْرَانَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

٣٠. حسن الظن بالله وقبح سوء الظن به

الحَمْدُ للهِ الغَفُورِ الرَّحِيمِ، الكَرِيمِ الحَلِيمِ، الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَفَتَحَ لِعِبَادِهِ أَبْوَابَ الرَّجَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، وَحَذَّرَهُمْ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ، وَالقُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَاليَأْسِ مِنْ رَوْحِهِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ، وَأَسْأَلُهُ قَلْبًا مُوقِنًا، وَرَجَاءً صَادِقًا، وَعَمَلًا يُصَدِّقُ حُسْنَ الظَّنِّ بِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، يُجِيبُ الدَّاعِينَ، وَيَقْبَلُ التَّائِبِينَ، وَيَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ صَادِقًا مُنِيبًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَعْظَمُ النَّاسِ ثِقَةً بِرَبِّهِ، وَأَكْمَلُهُمْ تَوَكُّلًا عَلَيْهِ، وَأَحْسَنُهُمْ ظَنًّا بِوَعْدِهِ وَنَصْرِهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ، وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

يا طالبَ الرجاء، إنَّ حُسن الظن بالله حياةٌ للقلب، وقوةٌ في البلاء، ونورٌ في طريق التوبة، وزادٌ للمؤمن عند الخوف والضعف والضيق. وليس حسن الظن بالله أمنًا من مكره، ولا إصرارًا على الذنب مع الاتكال على الرحمة، بل هو رجاءٌ صادق يحمل على الطاعة، وتوبةٌ تمحو أثر المعصية، وثقةٌ بوعد الله عند الشدائد، ويقينٌ أن الله أرحم بعبده من نفسه. واحذر سوء الظن بالله؛ فإنه ظلمةٌ في القلب، يورث القنوط، والاعتراض، واليأس، وضعف التوكل، وربما جعل العبد يرى البلاء حرمانًا محضًا، والتأخير خذلانًا، والذنب بابًا مغلقًا لا توبة بعده.

أولًا: حُسن الظن بالله

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

هذه الآية الكريمة من أعظم آيات الرجاء؛ إذ نادى الله عباده المسرفين على أنفسهم، وفتح لهم باب الرحمة، ونهاهم عن القنوط، وأخبرهم أنه يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب

ورجع إليه. فحسن الظن بالله أن يصدق العبد وعد ربه، وأن يعلم أن رحمة الله أوسع من ذنبه، وأن التوبة الصادقة تهدم ما قبلها.

والتدبر العملي في الآية أن المؤمن إذا أذنب لم يهرب من الله، بل يهرب إليه؛ يستغفر، ويتوب، ويحسن الظن بقبول ربه، ويجدد العمل الصالح، ولا يسمح للشيطان أن يدفعه إلى اليأس أو يقول له: لا فائدة منك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي». أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

ومن التطبيق العملي في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ما كان في الغار يوم الهجرة، حين قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟». أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٣)، ومسلم برقم (٢٣٨١).

فهذه صورة نبوية عظيمة في حسن الظن بالله عند اشتداد الخوف؛ فالأسباب الظاهرة كانت ضعيفة، والعدو قريب، والخطر محيط، لكن قلب النبي صلى الله عليه وسلم كان ممتلئًا بالثقة بمعية الله وحفظه ونصره، فكان حسن الظن بالله قوةً وثباتًا ويقينًا.

ومن كلام أهل العلم في حُسن الظن بالله قول ابن القيم رحمه الله: «فقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور، وأنّ حسن الظن إن حمل على العمل، وحثَّ عليه، وساق إليه، فهو صحيح. وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي، فهو غرور». الداء والدواء = الجواب الكافي، ابن القيم، (ص: ١٢٤).

وقال رحمه الله: «وحسن الظن هو الرجاء. فمن كان رجاؤه حاديًا له على الطاعة، زاجرًا له عن المعصية، فهو رجاء صحيح». الداء والدواء = الجواب الكافي، ابن القيم، (ص: ١٢٤).

وهذا يبين أن حسن الظن بالله ليس دعوى باللسان، بل رجاء صادق يدفع إلى الطاعة، ويزجر عن المعصية، ويجمع بين الثقة بالله وبذل أسباب النجاة.

من ثمرات حُسن التخلق بحُسن الظن بالله

١. حسن الظن بالله يقوي الرجاء.

٢. حسن الظن بالله يفتح باب التوبة.

٣. حسن الظن بالله يثبت القلب في البلاء.

ومتى أضاء القلب بحسن الظن بالله، انقشعت عنه وساوس السوء، ورأى أقدار ربه دائرة بين الحكمة والرحمة واللطف.

ثانيًا: قُبح سوء الظن بالله

قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

هذه الآية الكريمة تبين خطورة سوء الظن بالله، وأنه من صفات المنافقين والمشركين، إذ يظنون بالله غير ما يليق بكماله وحكمته ووعده ونصره. وسوء الظن بالله يدخل فيه القنوط من رحمته، أو اعتقاد أنه لا ينصر دينه، أو الاعتراض على قضائه، أو ظن أن التوبة لا تقبل، أو أن البلاء عبث لا حكمة فيه.

والتدبر العملي في الآية أن العبد إذا نزل به بلاء، أو تأخر عنه مطلوب، أو وقع في ذنب، أو رأى شدة على أهل الحق، فعليه أن يحذر خواطر السوء في حق ربه؛ فإن الله حكيم رحيم، لا يقضي إلا لحكمة، ولا يمنع إلا لعلم، ولا يؤخر إلا لمصلحة، ولا يخلف وعده.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاث: «**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ**». **أخرجه مسلم برقم (٢٨٧٧).**

وهذا الحديث تحذير ظاهر من لقاء الله على سوء الظن به؛ لأن الخاتمة موطن عظيم يحتاج فيه العبد إلى رجاء صادق، وحسن ظن بكرم الله ورحمته ومغفرته، مع التوبة والعمل الصالح والخوف من التقصير.

ومن لطيف ما قيل في قُبح سوء الظن بالله قول السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ﴾ [الفتح: ٦]: «وهذا ظن السوء بالله تعالى، فإن الله تعالى قد وعد المؤمنين بإتمام هذا الدين ونصر المؤمنين». تفسير السعدي (ص: ٧٩١).

وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ١٢]: «فظنوا ﴿أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا﴾ [الفتح: ١٢] أي: إنهم سيقتلون ويستأصلون، ولم يزل هذا الظن يزين في قلوبهم، ويطمئنون إليه، حتى استحكم». تفسير السعدي (ص: ٧٩٢).

وفي هذا بيان أن سوء الظن بالله يضعف اليقين بوعده، ويجعل القلب يرى الأمور بميزان الخوف والخذلان لا بميزان الإيمان والحكمة، ولهذا كان من أخطر أمراض القلوب.

بعض الآثار لقُبح سوء الظن بالله

١. سوء الظن بالله يضعف الرجاء.

٢. سوء الظن بالله يورث القنوط.

٣. سوء الظن بالله يفسد التوكل.

قِس نفسك

صور مطلوبة في الواقع

١. ارج رحمة الله مع العمل.

٢. أحسن الظن عند البلاء.

٣. تب إلى الله بلا قنوط.

صور مرفوضة في الواقع

١. اليأس من رحمة الله.

٢. الاعتراض على قضاء الله.

٣. ترك العمل بحجة الرجاء.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، لا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.

اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ، وَصِدْقِ الرَّجَاءِ فِيكَ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَالثِّقَةِ بِوَعْدِكَ، وَطَهِّرْنَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِكَ، وَالقُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِكَ، وَاليَأْسِ مِنْ رَوْحِكَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ رَجَاءَنَا فِيكَ دَاعِيًا إِلَى الطَّاعَةِ، وَخَوْفَنَا مِنْكَ زَاجِرًا عَنِ المَعْصِيَةِ، وَحُسْنَ ظَنِّنَا بِكَ بَابًا لِلتَّوْبَةِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

اللَّهُمَّ إِذَا نَزَلَ بِنَا البَلاءُ فَثَبِّتْ قُلُوبَنَا، وَإِذَا تَأَخَّرَ عَنَّا المَطْلُوبُ فَارْزُقْنَا الرِّضَا، وَإِذَا أَذْنَبْنَا فَافْتَحْ لَنَا بَابَ التَّوْبَةِ، وَلا تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِينَ.

اللَّهُمَّ أَعِذْنَا مِنْ قَلْبٍ يَسِيءُ الظَّنَّ بِكَ، وَنَفْسٍ تَعْتَرِضُ عَلَى قَضَائِكَ، وَلِسَانٍ يَنْطِقُ بِاليَأْسِ، وَعَمَلٍ يُخَالِفُ حَقِيقَةَ الرَّجَاءِ فِيكَ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. آمين.

خاتمة الكتاب

الحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه، حمدًا يملأ القلب شكرًا، واللسان ذكرًا، والعمل إخلاصًا، فله سبحانه الفضل كله أن يسّر إتمام هذا الكتاب: حُسن الحسنات وقُبح السيئات، وجعله رحلة إيمانية وتربوية بين جمال الطاعة وقبح المعصية، وبين نور الأخلاق الكريمة وظلمة الأخلاق الذميمة، وبين منهاج النبوة في بناء النفوس وواقع الناس في حاجتهم إلى التربية والتزكية والإصلاح.

وبعد هذه الدروس المباركة، يظهر للقارئ الكريم أن الحسنات ليست ألفاظًا تقال، ولا معانٍ تحفظ، ولا عناوين تزين بها المجالس، بل هي حياة في القلب، واستقامة في السلوك، ورحمة في التعامل، وصدق في العبادة، ونور في الطريق. كما يظهر أن السيئات ليست مجرد مخالفات عابرة، بل لها أثرها في القلب، والبيت، والمجتمع، والعلاقات، والمصير؛ فهي تضعف الإيمان، وتكدر الصفاء، وتفسد الأخلاق، وتفتح أبواب الندم والخسران.

لقد سعى هذا الكتاب إلى أن يجمع للقارئ بين الأمرين معًا: أن يحب الحسنات حين يرى جمالها وثمراتها، وأن يكره السيئات حين يرى قبحها وآثارها، **فليس المقصود أن يقرأ القارئ درسًا ثم يمضي، بل المقصود أن يقف مع نفسه، وأن يسأل قلبه، وأن يراجع سلوكه، وأن ينظر في بيته وطلابه ومن يربيهم: أين نحن من** الصدق؟ أين نحن من الأمانة؟ أين نحن من العدل والرحمة والحياء والتواضع والحلم والعفو والشكر والصبر؟ وأين نحن من ترك الكذب والخيانة والظلم والقسوة والكبر والغضب المذموم والانتقام والجحود والجزع وسائر قبائح الأعمال؟

وإن من **أجمل ما يرجوه الكاتب من هذا العمل أن يكون كتابًا حيًا** لا يُقرأ مرة ثم يوضع على الرف، بل يُدرَّس في البيوت، ويُقرأ في الحلقات، ويُتدارس في المراكز الشرعية، ويُجعل مادة تربوية للآباء والأمهات، والمعلمين والمعلمات، والدعاة والمربين، ومشايخ حلقات القرآن ومعلميها ومعلماتها، وكل من يحمل هم هذا الجيل. فهذا الجيل لا يحتاج إلى المعلومة وحدها، بل يحتاج إلى قلب يربيه، وقدوة تحركه، ومنهج يبصره، وكلمة صادقة تأخذ بيده إلى الله.

ومن هنا فإن طباعة هذا الكتاب ونشره وتداوله وتعليمه لون من ألوان المشاركة في بناء الأخلاق، وإحياء المعاني النبوية، والدلالة على الخير بشرط ألا يصبح سلعةً يتربح منها تجاريًا. فرب درس يقرؤه شاب فيترك خلقًا سيئًا، ورب كلمة تسمعها فتاة فتعود إلى خلق كريم، ورب أب أو أم يجدان في هذه الصفحات ما يعينهما على تربية أبنائهما، ورب معلم أو داعية يجعل من هذه الدروس زادًا لمجالس التربية والإصلاح.

ولذلك **أوصي القارئ الكريم ألا يكتفي بقراءة هذا الكتاب قراءة عابرة**، بل ينظر فيه بين الفينة والأخرى، ويعود إليه عند الحاجة، ويجعل من فقرة قِس نفسك مرآة صادقة لمراجعة القلب والعمل، فما كتبت هذه الدروس لتكون معلومات محفوظة فقط، وإنما كتبت لتكون زادًا للتزكية، وسُلّمًا للترقي، ومفتاحًا لمحاسبة النفس، وجسرًا إلى محبة الله ومرضاته.

ويا من تقرأ هذه الخاتمة، تذكر أن أعظم ثمرات العلم أن يتحول إلى عمل، وأن أعظم دلائل الفهم أن يظهر أثره في الخلق والسلوك، وأن أقرب الناس إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم من كان أحرص على محاسن الأخلاق، وأبعد عن قبائح الأعمال. فخذ من هذا الكتاب ما يصلح قلبك، ويهذب لسانك، ويزكي عملك، ويقربك من ربك، وانشره لمن تحب، فالدال على الخير كفاعله.

وقد تم الانتهاء من كتابة هذا الكتاب في تمام الساعة (٦عصرًا) من يوم عاشوراء قبل غروب الشمس، يوم الخميس، العاشر من شهر الله المحرم سنة ١٤٤٨هـ، الموافق الخامس والعشرين من يونيو سنة ٢٠٢٦م، في مدينة الغيضة، محافظة المهرة، اليمن السعيد.

وما أجمل أن يكون تمام هذا الكتاب في يوم عاشوراء، اليوم الذي نجَّى الله فيه نبيه موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين من فرعون وملئه وجنده، فأغرق الله أهل الطغيان، ونجَّى أهل الإيمان.

وإني أرجو الله الكريم، كما جعل عاشوراء يوم نجاة لموسى عليه السلام ومن آمن معه، أن يجعل هذا الكتاب سببًا في نجاة كاتبه وقارئه وناشره ومعلِّمه ومن دل عليه من النار، وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأن يطهرنا به من قبح السيئات، وأن يرزقنا به صدق التوبة، وحسن العمل، وحياة القلوب.

وإن كان في هذا الكتاب من صواب فمن فضل الله وحده، وإن كان فيه من تقصير أو نقص فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله منه، وأسأل كل ناصح كريم أن ينبه عليه برفق وإنصاف؛ فالمقصود وجه الله، وخدمة دينه، وتربية عباده على ما يحب ويرضى.

وفي الختام، **أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب مباركًا حيثما وصل**، وأن يفتح له القلوب، وأن ينفع به البيوت والحلقات والمراكز والمدارس والمنابر، وأن يجعله صدقة جارية، وأثرًا باقيًا، ونورًا يمتد بعد الرحيل.

وترقبوا بإذن الله تعالى كتابي الجديد ٣٨: المسابقة الثقافية لحلقات القرآن الكريم والمراكز الشرعية والصيفية (أكثر من ٢٠٠٠ سؤال منها ٥٠٠سؤال للفتاة)

وترقبوا بإذن الله تعالى كتابي الجديد (٣٩): فما ظنكم برب العالمين (الجزء الأول).

وترقبوا كذلك كتابي الجديد (٤٠): الممتع في أصول الفقه (الطبعة الثانية).

والله أسأل أن يبارك في النية والعمل، وأن يجعل ما بقي من العمر خيرًا مما مضى، وأن يختم لنا بالحسنى، وأن يرزقنا حُسن الحسنات، ويجنبنا قُبح السيئات، وأن يجعلنا من عباده الصالحين المصلحين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه راجي عفو ربه ومغفرته

أ.د. إسماعيل محمد عبده السلفي

الغيضة - المهرة - اليمن السعيد

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، كلام الله تعالى، ويُعتمد في رسم الآيات على مصحف المدينة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.

١. الأذكار، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣. اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤. التواضع والخمول، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٥. التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، لم تذكر نسخة الشاملة دار النشر وسنة الطباعة، وترقيمها موافق للمطبوع.

٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٧. جامع الترمذي = سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٨. الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.

٩. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد البستي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١١. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

١٢. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ: الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

١٣. شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٤. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ١٣١١هـ، ثم صوّرها بعنايته محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ثم صورته دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ومكتبة دار التراث، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٧. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٨. قاعدة في الصبر، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١١٦، السنة ٣٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

١٩. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٠. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

لمن أراد متابعتي عبر وسائل التواصل تفضل الروابط:

قناتي على الواتس: https://tinyurl.com/ypztn٩he

قناة أ. د. إسماعيل السلفي في التليجرام: https://t.me/nh٦٠٧

يوتيوب: https://youtube.com/channel/UCr٦BQ٥qkV٧b٤isuN٦gNtDScQ

فيس بوك: https://www.facebook.com/د-إسماعيل-السَّلفي-Dr-Esmail-Al-salafi-١٠٥٠٦٣٩٩٥٥٥٩٩٨٢/

تويتر: https://twitter.com/slfe٦٠٥

سند كلاود: https://soundcloud.app.goo.gl/qmbte

انستجرام: https://instagram.com/dr.esmail_alsalafi?igshid=YmMyMTA٢M٢Y

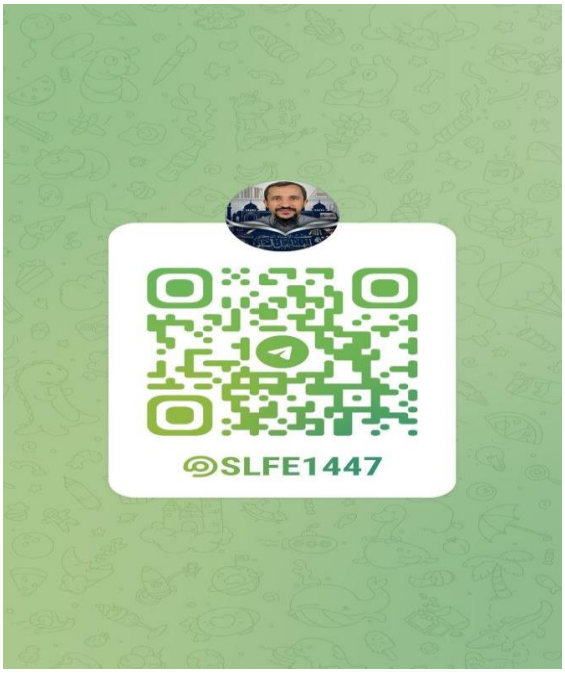
حالات واتس: https://chat.whatsapp.com/CKB٨y٥yNUghDPo٥٣٨gIHI٠

مصحف التدبر: https://chat.whatsapp.com/GcJulgZIac٤٥z١X٠٠HQyfU

للوصول المباشر لتحميل كتبي عبر جوجل

اضغط على أحد الأسماء الآتية: موقع الألوكة، مكتبة نور، صيد الفوائد، وغيرها من المواقع.

امسح الباركود بهاتفك ستجد
كل كتبي وأبحاثي تنشر في هذه القناة
كتب الأستاذ الدكتور إسماعيل السلفي



لمن أراد تحميل كتبي عبر تلجرام ما عليك سوى الضغط على اسم الكتاب:

الحقيبة (١): الأبحاث العلمية:

١. الأحكام الدائرة مع العلة وأثرها في العبادات (دراسة مقارنة) رسالة دكتوراه.
٢. تعليل الأحكام عند فقهاء الصحابة رضي الله عنهم (دراسة تطبيقية) بحث محكم.
٣. فقه الموازنات عند تعارض الضروريات (بحث محكم) بالاشتراك مع د. بلال الهمداني.
٤. العبادات الأولى بالتقديم عند التزاحم (بحث محكم).
٥. الاستثناءات الفقهية من قاعدة (الواجب أفضل من المندوب) بالاشتراك مع بروف إبراهيم حيدرة
٦. القواعد الأصولية المؤثرة في اللقاحات الطبية، بحث محكم بالاشتراك مع د. بلال الهمداني
٧. المصلحة المرسلة ودورها في مواجهة تحديات التعليم الجامعي في ضوء مقاصد القرآن
٨. نماذج من القواعد الأصولية عند الصحابة وأثرها في الفقه المعاصر.
٩. القواعد الأصولية المستنبطة من قصة موسى مع بني إسرائيل في ذبح البقرة (دراسة أصولية تطبيقية).

الحقيبة (٢): كتب برنامج البكالوريوس:

١٠. الممتع في أصول الفقه (الطبعة الثانية) (سينشر قريبًا-إن شاء الله-)
١١. مذكرة في علوم القرآن (١)
١٢. مذكرة في علوم القرآن (٢)
١٣. زبدة الأحكام من آيات الأحكام (١)
١٤. زبدة الأحكام من آيات الأحكام (٢)
١٥. فتح القدير في ثوبه الجديد الجزء (٧+٨).

الحقيبة (٣): كتب برنامج الماجستير:

١٦. مذكرة في تخريج الفروع على الأصول.
١٧. فقه النوازل (تأصيلًا وتطبيقًا) (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
١٨. تهذيب أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء

الحقيبة (٤): كتب برنامج الدكتوراه:

١٩. الوجيز في تطبيق القواعد الأصولية. (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٢٠. الفروق الفقهية تأصيلًا وتطبيقًا (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٢١. المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٢٢. صيغ الاستثمار في الفقه المعاصر (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٢٣. مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٢٤. المستجدات الفقهية في الجنايات والقضايا الطبية المعاصرة

الحقيبة (٥): كتب المواسم (الحج ورمضان):

٢٥. كيف يحج القلب (أسرار الحج خطوة بخطوة)
٢٦. الحج رحلة القلب إلى الله تعالى

٢٧. الكنوز العشرة في الأيام العشرة.
٢٨. نوازل كتاب الحج.
٢٩. تدبر آيات الحج (أكثر من ٥٠٠ سؤال تدبري وجواب إيماني). (سينشر قريبًا -إن شاء الله).
٣٠. ثلاثون درسًا فقهيًا للصائمين (الطبعة الثانية)
٣١. رمضان خطوة بخطوة نحو القرب من الله
٣٢. نفحات رمضانية تدبرية (٣٠ نفحة تدبرية).
٣٣. ماذا بعد رمضان؟ (٣٠ همسة)

الحقيبة (٦): كتب القرآن الكريم حفظًا وتدبرًا وسلوكًا:

٣٤. كيف تحفظ القرآن الكريم خماسية التكرار في ثمان ط. ٢.
٣٥. سجل متابعة خماسية التكرار في ثمان بالاشتراك مع الشيخ أيوب قبان
٣٦. ٣٨ وسيلة إبداعية لإتقان القرآن الكريم.
٣٧. رتل وردك الجزء الأول (٣٦٥) قصة وفائدة وعبرة.
٣٨. هكذا عاشوا مع القرآن الكريم (٣٠ درسا).
٣٩. وغرد قلبي بالقرآن (الألفية الأولى).
٤٠. وغرد قلبي بالقرآن (الألفية الثانية سورة البقرة وآل عمران).
٤١. وغرد قلبي بالقرآن (الألفية الثالثة سورة النساء). (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٤٢. وغرد قلبي بالقرآن (حصاد تدبر رمضان ١٤٤٧هـ).
٤٣. وغرد قلبي بالقرآن (تدبر سورة يس أكثر ٣٠٠ وقفة تدبرية).
٤٤. التفسير (١) المستوى الأول
٤٥. مصطلحات العمل بالقرآن وتطبيقاتها (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٤٦. للحفاظ فقط (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٤٧. فما ظنكم برب العالمين (الجزء الأول). (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).

الحقيبة (٧): كتب سلسلة التربية أولًا:

٤٨. التفسير التدبري (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٤٩. الموسوعة العالمية لتدبر القرآن الكريم (سورة الفاتحة).
٥٠. التربية بالآية (نداء الرحمن لأهل الإيمان (٨٩ نداءً). (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٥١. التربية بالحديث النبوي. (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٥٢. التربية بالقصة. (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٥٣. المنهج النبوي في إعداد القادة (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٥٤. ١٠٠ أدب من آداب طالب العلم على منهاج النبوة. (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٥٥. صفحات مشرقة في بر الوالدين. (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٥٦. دروس من الحياة. (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٥٧. الحياة مدرسة – [إليك ولدي]. (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٥٨. رسالة من القلب إلى القلب. (سينشر قريبًا إن شاء الله).

٥٩. صناعة اليقين بالقرآن. (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٦٠. مع الله -جل جلاله- [٣٦٥ قصة وفائدة موثقة]. (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٦١. حُسن الحسنات وقُبح السيئات. [٣٠ درسًا على منهاج النبوة].
٦٢. بصمة صحابي العشرة المبشرين بالجنة (دروس وعبر). (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٦٣. بصمة صحابية أمهات المؤمنين (دروس وعبر). (سينشر قريبًا إن شاء الله)

الحقيبة(٨): كتب الفقه والأصول:

٦٤. زبدة معلمة زايد في شرح القواعد الأصولية (سينشر قريبًا إن شاء الله).
٦٥. زبدة معلمة زايد في شرح القواعد المقاصدية (سينشر قريبًا إن شاء الله).
٦٦. زبدة معلمة زايد في شرح القواعد الفقهية. (سينشر قريبًا إن شاء الله).
٦٧. زبدة معلمة زايد في شرح الضوابط الفقهية (سينشر قريبًا إن شاء الله).
٦٨. الوجيز في الفقه القديم والمعاصر. (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٦٩. الوجيز في شرح الياقوت النفيس. (سينشر قريبًا إن شاء الله).
٧٠. متن الياقوت النفيس في مذهب ابن إدريس [رتبته ونسقته وهي نسخة مشكلة وملونة].
٧١. دليل الباحث إلى ملكة استنباط الأحكام (سينشر قريبًا إن شاء الله).
٧٢. الجامع في نصوص القواعد المقاصدية والأصولية والفقهية والضوابط الفقهية (٢٣٠٠ قاعدة وضابط).
٧٣. موسوعة الفقه المعاصر (أكثر من ٣٠٠٠ مسألة فقهية، مختصرة، ومرتبة على أبواب الفقه). (سينشر قريبًا إن شاء الله).
٧٤. التفسير الفقهي (سورة الفاتحة). (سينشر قريبًا إن شاء الله).
٧٥. الممتع في شرح متن أبي شجاع. (سينشر قريبًا إن شاء الله).

الحقيبة(٩): كتب القراءة الحرة:

٧٦. أكثر من ٢٠٠ سؤال وجواب في الإيمان (العقيدة- التوحيد)
٧٧. ٢٠٠ قصة في علو الهمة في طلب العلم (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٧٨. صيد الفوائد (١٠٠٠ فائدة متفرقة) (رحلة في صيد الفوائد) (سينشر قريبًا إن شاء الله)
٧٩. حياتنا قيم (٣٦٥ قصة وفائدة تربوية) (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٨٠. متعة القراء (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٨١. موسوعة الفوائد المئة (١٠ آلاف فائدة) (سينشر قريبًا -إن شاء الله-).
٨٢. صناعة الأمل. (سينشر قريبًا -إن شاء الله تعالى-).
٨٣. المسابقة الثقافية (لحلقات القرآن والمراكز الشرعية والصيفية). (سينشر قريبًا -إن شاء الله).

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

الموضوعات

مقدمة ٣

الإهداء ٨

١. حسن الصدق وقبح الكذب ١٠

٢. حسن العدل وقبح الظلم ١٤

٣. حسن الإحسان وقبح الإساءة ١٩

٤. حسن الأمانة وقبح الخيانة ٢٤

٥. حسن الحياء وقبح الوقاحة ٢٩

٦. حسن التواضع وقبح الكبر ٣٤

٧. حسن الحِلم وقبح الغضب المذموم ٣٩

٨. حسن العفو وقبح الانتقام المذموم ٤٤

٩. حسن الوفاء وقبح الغدر ٤٩

١٠. حسن الشكر وقبح الجحود ٥٤

١١. حسن الصبر وقبح الجزع ٥٩

١٢. حسن الرحمة وقبح القسوة المذمومة ٦٤

١٣. حسن الرفق وقبح العنف ٦٩

١٤. حسن الكرم وقبح البخل ٧٤

١٥. حسن القناعة وقبح الطمع ٧٩

١٦. حسن العفة وقبح الفجور ٨٤

١٧. حسن الحياء في النظر وقبح إطلاق البصر ٨٩

١٨. حسن حفظ اللسان وقبح الغيبة ٩٥

١٩. حسن الإصلاح وقبح الإفساد ١٠٠

٢٠. حسن النصيحة وقبح الغش ١٠٥

٢١. حسن سلامة الصدر وقبح الحسد ١١٠

٢٢. حسن البر وقبح العقوق ١١٥

٢٣. حسن صلة الرحم وقبح القطيعة ١٢٠

٢٤. حسن الجود بالعلم وقبح كتمانه ١٢٥

٢٥. حسن الإنصاف وقبح التعصب ١٣٠

٢٦. حسن الوقار وقبح الطيش ١٣٥

٢٧. حسن ستر العيوب وقبح التشهير ١٤٠

٢٨. حسن التثبت وقبح التسرع ١٤٥

٢٩. حسن الاعتذار وقبح المكابرة ١٥٠

٣٠. حسن الظن بالله وقبح سوء الظن به ١٥٥

خاتمة الكتاب ١٦٠

قائمة المصادر والمراجع: ١٦٤

لمن أراد متابعتي عبر وسائل التواصل تفضل الروابط: ١٦٧

لمن أراد تحميل كتبي عبر تلجرام ما عليك سوى الضغط على اسم الكتاب: ١٦٨

الحقيبة (١): الأبحاث العلمية: ١٦٨

الحقيبة (٢): كتب برنامج البكالوريوس: ١٦٨

الحقيبة (٣): كتب برنامج الماجستير: ١٦٨

الحقيبة (٤): كتب برنامج الدكتوراه: ١٦٨

الحقيبة (٥): كتب المواسم (الحج ورمضان): ١٦٨

الحقيبة (٦): كتب القرآن الكريم حفظًا وتدبرًا وسلوكًا: ١٦٩

الحقيبة (٧): كتب سلسلة التربية أولًا: ١٦٩

الحقيبة (٨): كتب الفقه والأصول: ١٧٠

الحقيبة (٩): كتب القراءة الحرة: ١٧٠

إصدارات المؤلف

الحقيبة الأولى: الأبحاث العلمية:

١. الأحكام الدائرة مع العلة وأثرها في العبادات رسالة دكتوراه.
٢. تعليل الأحكام عند فقهاء الصحابة (دراسة تطبيقية).
٣. فقه الموازنات عند تعارض الضروريات بالاشتراك مع د. بلال الهمداني.
٤. العبادات الأولى بالتقديم عند التزاحم (بحث محكم).
٥. الاستثناءات الفقهية من قاعدة (الواجب أفضل من المندوب) (دراسة نظرية تطبيقية). بالاشتراك مع أ. د إبراهيم حيدرة.
٦. القواعد الأصولية المؤثرة في اللقاحات الطبية - بحث محكم بالاشتراك مع د. بلال الهمداني.
٧. المصلحة المرسلة ودورها في مواجهة تحديات التعليم الجامعي في ضوء مقاصد القرآن.
٨. نماذج من القواعد الأصولية عند الصحابة وأثرها في الفقه المعاصر.
٩. القواعد الأصولية المستنبطة من قصة موسى مع بني إسرائيل في ذبح البقرة.

الحقيبة الثانية: كتب لبرنامج البكالوريوس

١٠. الممتع في أصول الفقه (الطبعة الثانية).
١١. مذكرة في علوم القرآن (١).
١٢. مذكرة في علوم القرآن (٢).
١٣. زبدة الأحكام من آيات الأحكام (١).
١٤. زبدة الأحكام من آيات الأحكام (٢).
١٥. فتح القدير في ثوبه الجديد – (٧+٨).

الحقيبة الثالثة: كتب لبرنامج الماجستير

١٦. مذكرة في تخريج الفروع على الأصول.
١٧. فقه النوازل تأصيلًا وتطبيقًا.
١٨. تهذيب أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء.

الحقيبة الرابعة: كتب لبرنامج الدكتوراه

١٩. الوجيز في تطبيق القواعد الأصولية.
٢٠. الفروق الفقهية تأصيلًا وتطبيقًا.
٢١. المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي.
٢٢. صيغ الاستثمار في الفقه المعاصر.
٢٣. مناهج الفقهاء في استنباط الأحكام.
٢٤. المستجدات الفقهية في الجنايات والقضايا الطبية.

الحقيبة الخامسة: كتب المواسم (الحج ورمضان)

٢٥. كيف يحج القلب (أسرار الحج خطوة بخطوة).
٢٦. الحج رحلة القلب إلى الله.
٢٧. الكنوز العشرة في الأيام العشرة
٢٨. نوازل كتاب الحج.
٢٩. تدبر آيات الحج (أكثر من ٥٠٠ سؤال تدبري وجواب إيماني).
٣٠. ثلاثون درسًا فقهيًا للصائمين.
٣١. رمضان خطوة بخطوة نحو القرب من الله.
٣٢. نفحات رمضانية تدبرية (٣٠ نفحة تدبرية).
٣٣. ماذا بعد رمضان؟ (٣٠ همسة).

الحقيبة السادسة: كتب القرآن حفظًا وتدبرًا وسلوكًا

٣٤. كيف تحفظ القرآن الكريم خماسية التكرار في ثمان ط. ٢.
٣٥. سجل متابعة خماسية التكرار في ثمان بالاشتراك مع الشيخ أيوب قبان
٣٦. ٣٨ وسيلة إبداعية لإتقان القرآن الكريم.
٣٧. رتل وردك – الجزء الأول أكثر من (٣٦٥) قصة وعبرة.
٣٨. هكذا عاشوا مع القرآن الكريم (٣٠ درسًا).
٣٩. وغرد قلبي بالقرآن – الألفية الأولى.
٤٠. وغرد قلبي بالقرآن (الألفية الثانية سورة البقرة وآل عمران).
٤١. وغرد قلبي بالقرآن (الألفية الثالثة سورة النساء).
٤٢. وغرد قلبي بالقرآن حصاد تدبر القرآن في رمضان ١٤٤٧هـ.
٤٣. التفسير (١) المستوى الأول.
٤٤. مصطلحات العمل بالقرآن وتطبيقاتها.
٤٥. للحفاظ فقط.
٤٦. فما ظنكم برب العالمين (الجزء الأول)

الحقيبة السابعة: سلسلة التربية أولًا

٤٧. التفسير التدبري.
٤٨. الموسوعة العالمية لتدبر القرآن الكريم (سورة الفاتحة).
٤٩. التربية بالآية نداء الرحمن لأهل الإيمان (٨٩ نداء).
٥٠. التربية بالحديث النبوي.
٥١. التربية بالقصة.
٥٢. المنهج النبوي في إعداد القادة.
٥٣. ١٠٠ أدب من آداب طالب العلم على منهاج النبوة.
٥٤. صفحات مشرقة في بر الوالدين.
٥٥. دروس من الحياة.
٥٦. الحياة مدرسة – [إليك ولدي].
٥٧. رسالة من القلب إلى القلب.
٥٨. صناعة اليقين بالقرآن.
٥٩. مع الله جل جلاله (٣٦٥ قصة وفائدة).
٦٠. حُسن الحسنات وقُبح السيئات (٣٠ درسًا على منهاج النبوة)

الحقيبة الثامنة: الحقيبة الفقهية الأصولية المقاصدية

٦١. زبدة معلمة زايد في شرح القواعد المقاصدية.
٦٢. زبدة معلمة زايد في شرح القواعد الأصولية.
٦٣. زبدة معلمة زايد في شرح القواعد الفقهية.
٦٤. زبدة معلمة زايد في شرح الضوابط الفقهية.
٦٥. الوجيز في الفقه القديم والمعاصر.
٦٦. الوجيز في شرح الياقوت النفيس.
٦٧. متن الياقوت النفيس في مذهب ابن إدريس.
٦٨. دليل الباحث إلى ملكة استنباط الأحكام.
٦٩. الجامع في نصوص القواعد المقاصدية والأصولية والفقهية والضوابط الفقهية (٢٣٠٠ قاعدة وضابط).
٧٠. موسوعة الفقه المعاصر (أكثر من ٣٠٠٠ مسألة فقهية، مختصرة، ومرتبة على أبواب الفقه).
٧١. الممتع في شرح متن أبي شجاع.
٧٢. التفسير الفقهي للقرآن الكريم (سورة الفاتحة والبقرة)

الحقيبة التاسعة: كتب القراءة الحرة

٧٣. أكثر من ٢٠٠ سؤال وجواب في الإيمان (العقيدة - التوحيد).
٧٤. ٢٠٠ قصة في علو الهمة في طلب العلم.
٧٥. صيد الفوائد – (١٠٠٠ فائدة متفرقة) رحلة في صيد الفوائد.
٧٦. حياتنا قيم – (٣٦٥ قصة وفائدة تربوية).
٧٧. متعة القراء.
٧٨. موسوعة الفوائد المئة (١٠ آلاف فائدة).
٧٩. صناعة الأمل.
٨٠. المسابقة الثقافية (لحلقات القرآن والمراكز الشرعية والصيفية).